لة جامعة / لك سعود، م١٨، الآداب (٢)، ص ص٢٧٥ - ٣٢٩ (١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م)

العلاقات الاجتماعية بـ مكة وا دينة منذ ما قبل الإسلام حـ فتح مكة

إ ام أ د عبدالعزيز البابط

أستاذ مساعد، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض

(قدم للنشر في ١٤٢٥/١٠/٢٢هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٦/١/٢١هـ)

ملخص البحث. لا يختلف اثنان على الأهمية التاريخية التي تتبوأها كل من مكة ويثرب (المدينة) عبر تاريخهما الطويل. وتزداد تلك الأهمية حينما تلامس مرحلة من أهم مراحل تاريخهما، وأعني بها تلك الحقبة التي تمتد منذ قبيل الإسلام حتى فتح مكة.

هذه الفترة هي الإطار الزمني لهذا البحث الذي يتناول بشكل خاص العلاقة الاجتماعية بين هاتين المدينتين، والتي تتجلى فيما كان يربط بين أهليهما من روابط المصاهرات التي قلَّ أن يخلو منها بطن من بطون ساكنيهما بما في ذلك زواج بعض رجال من أهل مكة بفتيات من يهود يثرب وخيبر. وتتجلى تلك العلاقات كذلك فيما قام بين كل من أهل مكة وأهل يثرب (المدينة فيما بعد الهجرة) جماعات وأفراد، من روابط الحلف والجوار والصداقة الحميمة، وتبادل الزيارات، وخلافها، يضاف إلى ذلك ما سيشتمل عليه البحث من رصد التواصل الاجتماعي بين من هاجر إلى يثرب (المدينة) من أهل مكة، ومن لم يهاجر وذلك حتى فتح مكة.

مقدمـــة

لم تعد موضوعات التاريخ السياسي مما يستهوي الباحثين والدارسين كثيراً في عصرنا الحاضر بقدر مايستهويهم البحث في موضوعات أخرى تتصل بصورة مباشرة بالناس وبمجتمعاتهم، وسبل معاشهم، ومختلف شؤون حياتهم الاجتماعية والاقتصادية، وعلاقاتهم مع بعضهم بعضاً.

ويجئ التاريخ الاجتماعي ضمن هذه الحلقة من الموضوعات التي ينصبّ عليها اهتمام شريحة كبيرة من الدارسين والباحثين المحدثين في الوقت الحاضر. وتزداد تلك الأهمية حينما يستهدف البحث في هذه الموضوعات فترة ماقبل الإسلام، وبواكير العصر الإسلامي؛ وذلك لكون موضوعات كهذه لا تتأتى إلا بجهد كبير من الباحثين يقوم على اقتناص شتات الإشارات المتناثرة في أمهات المصادر، وفي سياق موضوعات أخرى قد لا تكون لها صلة بما هم بصدده من تناول التاريخ الاجتماعي الذي لم يحظ ولو بقدر ضئيل من إفراده بفصول أو بجزئيات خاصة في تلك المصادر. رأينا تلك المعاناة ولمسناها من خلال بحثنا هذا الذي يحاول إبراز جوانب العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط أهل مكة بأهل يثرب خلال الفترة التي يغطيها، فلعل هذا الجهد المبذول يشكل إضافة خجلى وإسهامًا متواضعًا في البحث التاريخي.

وإذا كنا قد وفقنا في لمّ شتات هذا الموضوع الذي نحسبه مهماً، فما ذلك إلا بفضل الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل قراءة متأنية فاحصة في مختلف المصادر المتاحة، وفي اقتناص شوارد المعلومات بحيث تيسر لنا بناء مكونات هذا البحث وهي: المصاهرات، والأحلاف الجماعية والفردية، والجوار، والمنافرات، والصداقات. وخلاف ذلك من وسائل التواصل الاجتماعي بين أهل مكة وأهل يثرب .

أولا : ا صاهرات

لعل من أبرز الروابط الاجتماعية التي كان لها الدور الأكبر في توثيق العلاقات بين أهل مكة وأهل يثرب في الفترة السابقة للإسلام تلك التي قامت على المصاهرات بين أهالي كل من البلدتين المذكورتين، ولا سيما ما كان منها بين علية القوم وسادتهم.

ويعود تاريخ تلك المصاهرات، بحسب ما تيسر الإطلاع عليه في المصادر المتاحة، إلى عهد أبناء عبدمناف بن قصي بن كلاب، فقد صاهر اثنان منهما بعض سادة يثرب أولهما وهو هاشم بن عبد مناف(ت نحو١٠٢ق.هـ/٤٢٥م) المشهور بلقب سيد بطحاء مكة،[1] صاهر اثنين من سادة الخزرج ممن كانت لهم مكانة وسلطة ونفوذ في عموم يثرب، الأول هو عمرو بن زيد بن لبيد بن حرام بن خداش بن عامر بن غنم بن عدي بن النجار، وقد تزوج هاشم ابنته سلمى، وأنجبت له من الولد عبدالمطلب(ت نحو ٥٤ق هـ/٩٧٥م) والشفاء، وقيل رقية.[2] وبلغ من رغبة هاشم في مصاهرة بني عدي بن النجار

---

(١) عبدالملك بن هشام المعافري (ت ٢١٨هـ)، *السيرة النبوية*، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي ط٢، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ١٣٥:١- ١٣٦؛ محمد بن حبيب البغدادي (ت٢٤٥هـ)، المحبر، تحقيق: ايلزة ليختن شتيتر، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، د.ت)، ص١٣٧، ١٦٢، ١٦٣؛ *المنمق في أخبار قريش*، تحقيق: خورشيد أحمد فاروق، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٥هـ)، ٤٢-٤٣، ٩٧-٩٨؛ أحمد بن يحيى البلاذري (ت ٢٧٩هـ)، *جُمْل من أنساب الأشراف*، تحقيق: سهيل زكار ورياض زركلي ط١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٧هـ)، ٦٥:١-٦٨.

(٢) ابن هشام، ج١: ص ١٠٧-١٠٨؛ محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت٢٣٠هـ)، *الطبقات الكبرى*، تحقيق: محمد عطا ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ) ٥٣:١، ٦٤، ٦٥؛ المصعب بن عبدالله الزبيري (ت٢٣٦هـ)، *نسب قريش*، تحقيق: ليفي بروفنسال ط٢، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦م)، ١٥؛ ابن حبيب، المحبر، ٣٩٨؛ البلاذري، ٧١:١؛ =

أن قبل شرط سلمى الذي كانت قد اشترطته لنفسها على من يخطبها ؛[٣] وهو المقام بدار قومها في يثرب، وفي رواية ألا تلد ولدا إلا في أهلها، ورواية ثالثة أن يكون أمرها بيدها.[٤] تزوج هاشم سلمى بحضور أربعين رجلاً من قريش من بني عبدمناف ومخزوم

= أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت٢٨٤هـ)، تاريخ اليعقوبي، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ١ : ٢٤٤ ؛ محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، *تاريخ الرسل والملوك*، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٩م)، ٢ : ٢٤٦- ٢٤٧ ؛ عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ)، التبين في أنساب القرشيين، تحقيق: محمد الدليمي، ط٢، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ)، ٥٦، ٥٧ ؛ علي بن أحمد السمهودي (ت٩١١هـ)، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: دار إحياء التراث ١٤٠١هـ)، ١ : ١٨١. والرواية التي أوردها ابن هشام (١ : ١٠٧)، وابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١ : ٦٥ هي التي ذكرت أن ابنة هاشم كان اسمها رقية.

(٣) وهذا الشرط الذي اشترطته سلمى على هاشم يتعارض مع ما ذكر في بعض المصادر من أن قريشاً يتزوجون في مختلف القبائل دون أن يفرضوا عليهم شروطاً، على حين أنهم (أي قريش) لا يزوجون أحداً من القبائل الأخرى إلا بشروطهم، ومع ذلك فلا ضير على هاشم إذا كان هو وبمحض إرادته قبل شرط سلمى، ولعل ذلك يعود إلى مكانة أبيها أو لرأي رآه يخدم مصالحه التجارية. شهاب الدين بن عبدالله ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ)، *معجم البلدان*، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٧هـ)، ٥ : ١٨٤.

(٤) ابن سعد، *الطبعقات الكبرى*، ١ : ٦٤ ؛ البلاذري، ١ : ٧١ ؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ١ : ٢٤٧، ٢٤٨. والأرجح من هذه الشروط التي اشترطتها سلمى لنفسها هي أنها لا تلد إلا في أهلها ؛ لأن المصادر فيها ما يفيد أن هاشماً حمل سلمى إلى إلى مكة، وأقامت هناك حتى حملت، واقترب وقت ولادتها فنقلها إلى أهلها بيثرب، ومات بعد ذلك، فبقيت في منزل أبيها هي وابنها الذي أنجبته بعد وفاة أبيه. البلادذري: ١ : ٧١ ؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢ : ٢٤٧. وانظر: اليعقوبي، ١ : ٢٤٤- ٢٤٥.

وسهم، وعدد من رجال الخزرج.[٥] وأنجبت له من الأبناء شيبة الحمد، فتربى في أخواله مكرّمًا، [٦] وظل مفتخراً بنسب أبيه بين غلمان يثرب، فكان يردد، وهو يلهو معهم: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء.[٧] أما الرجل الثاني الذي صاهره هاشم بن عبدمناف فهو عمرو بن ثعلبة بن سلول بن الخزرج الذي تزوج هاشم ابنته هند، ولا نعرف إن كانت لها شـــروطها الخاصة من عدمها، وقد أنجبت له أبا صيفي عــمراً، وصيفيا، وحيَّة.[٨] وثاني أبناء عبدمناف الذي صاهر الخزرج أيضا هو المطلب فقد تزوج الأخير من زوجة أخيه هاشم المسماة هند بنت عمرو بن ثعلبة، وأنجبت له مخرمة وأنيس(أبا رهم).[٩] ويبدو أن المطلب تزوج من بنت عمرو بن ثعلبة الخزرجي ليحفظ أواصر العلاقات معه بعد وفاة أخيه هاشم، فضلاً عن لمّ شتات أسرة أخيه المتوفى. ويذكر ابن حبيب أن ابني عبدمناف هاشم والمطلب تزوجا على التوالي من يهودية من أهل خيبر، وأنجبت للأول

---

(٥) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٦٤.

(٦) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٦٦- ٦٧؛ البلاذري، ١: ٧١؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢: ٢٤٧، ٢٤٨. ويبدو أن ترك الابن يتربى بين أخواله بعيداً عن بني أبيه لم يكن مستحباً لدى القرشيين، فقد عُيِّر بذلك عبدالمطلب بعد عودته إلى مكة من قبل ابن عمه عدي بن نوفل في المنافسة التي جرت بينهما فقال عدي لعبدالمطلب: "فلقد كنت بيثرب عند غير أبيك حتى رجعك عمك المطلب". ابن قدامة، ٩٧.

(٧) البلاذري، ١: ٧١؛ اليعقوبي، ١: ٢٤٥؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤٧، ٢٤٨.

(٨) ابن هشام، ١: ١٠٨؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٦٥؛ المصعب الزبيري، ١٦، ٩٣؛ اليعقوبي، ١: ٢٤٤.

(٩) ابن هشام، ١: ١٠٨؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٦٥؛ المصعب الزبيري، ١٦، ٩٣؛ اليعقوبي، ٢٤٤: ١.

صيفياً وأباصيفياً، وللثاني مخرمة،[١٠] ولا ندري إن كان ابن حبيب يقصد بروايته هذه هند الخزرجية أم امرأة أخرى؟ ويغلب على الظن أن المقصودة بهذه الزيجة هي هند الخزرجية نفسها، وإن كنا لا نستبعد زواج ابني عبدمناف من يهودية؛ لأن العلاقات الاجتماعية بين أهل مكة وأهل يثرب لا تخلو من المصاهرات بين اليهود والقرشيين، وسيأتي الحديث عن زواج بعض القرشيين من يهود يثرب.

وقد سار أبناء هاشم والمطلب وأحفادهما على سنن آبائهم من حيث مصاهرة أهل يثرب؛ فقد تزوج مخرمة بن المطلب بن عبدمناف من يهودية من أهل خيبر فأنجبت له قيساً[١١] الذي تزوج من ابنتين من بنات عقبة بن رافع (ربيعة) بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل الأوسي الأولى: درة(ودّة)، ويقال لها أيضاً أم الحكم(الحكيم) بنت عقبة بن رافع، وأنجبت له عبدالله ومحمدًا وعبدالملك وجمالاً، وحميدة وأم سلمة ونساء.[١٢] أما الثانية فهي أم سعد وقد تزوجها قيس بعد أختها درة.[١٣] وتزوج حمزة بن عبدالمطلب بن هاشم(ت ٣هـ/٥٢٦م) من امرأتين يثربيتين، إحداهما أوسية، وهي بنت الملّة بن مالك التي أنجبت له يعلى وبكراً وعامراً، والأخرى خزرجية، وهي خولة بنت قيس بن قَهْد من بني غنم بن مالك بن النجار، فولدت له عمارة وابنتين أخريين في رواية، وفي رواية

---

(١٠) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٢.

(١١) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٢-٤٠٣.

(١٢) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨: ٢٤٣- ٣٤٧؛ الطبقة الرابعة ممن أسلم عند فتح مكة ومن بعدهم، تحقيق: عبدالعزيز السلومي (رسالة دكتوراه، قسم الحضارة والنظم الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة ١٤١٠هـ) ٢٠١؛ المصعب الزبيري، ٩٢- ٩٣.

(١٣) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨: ٢٤٣- ٢٤٤.

أخرى ابناً آخراً يدعى يعلى.[١٤] وسلك أحفاد عبدمناف الآخرين مسلك أعمامهم في مصاهرة رجال من يثرب، فقد تزوج عدي بن نوفل بن عبدمناف (ت نحو ٠٣ ق هـ/٤٩٥م) من امرأة يقال لها الرباب بنت الحارث بن حُباب من أهل يثرب، ويذكر ابن حبيب أن أمها شريفة يهودية،[١٥] وأنها أنجبت له ولده الخيار.[١٦] ويبدو أن الرباب هذه لها من الصفات الشخصية بحيث شجعت ثلاثة من مختلف البطون القرشية على الزواج منها واحداً تلو الآخر، فقد تزوجها في البداية سفيان بن أمية وأنجبت له الحصين، وتزوجها أيضاً عبدالله بن عمير الجمحي، وأنجبت له ابنه عمراً، وهو أبو عزة الجمحي الشاعر(ت ٣هـ/٥٢٦م).[١٧] وتزوجها حبيب بن الحكم بن أبي العاص بن أمية العبشمي، كما تزوج هو نفسه(أي حبيب بن الحكم) مريم بنت عبدالله بن أبي معقل بن نهيك بن أساف الحارثي الأوسي، وأنجبت له أم عبدالله.[١٨] ومن بني عبدشمس: أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة(ت ٢١هـ/٣٣٦م) الذي تزوج من ثبيتة بنت يعار من بني عمرو

(١٤) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨: ٣٢٧، والقول له؛ البلاذري، ٤: ٣٨١. وانظر: يوسف بن عبدالله بن عبدالبر القرطبي (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، طبع بهامش كتاب الإصابة لابن حجر، ط١، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ)، ٤: ٢٨٩؛ علي بن محمد بن الأثير (ت٦٣٠هـ)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: محمد البنا وأخرون، (القاهرة: مطبعة الشعب، د.ت)، ٧: ٩٦؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٢٨هـ)، ١: ٦٧٢، ٤: ٢٩٣

(١٥) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣.

(١٦) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣. وانظر أيضاً: المصعب الزبيري، ٢٠٠.

(١٧) المصعب الزبيري، ٢٠٠؛ ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣.

(١٨) المصعب الزبيري، ١٧٢-١٧٣.

بـن عـوف بـن مالـك بـن الأوس.[١٩] وهكـذا اسـتمر زواج أهـل مكـة مـن نـساء يثربيـات بعضهن يهوديات حيث تذكر بعض الروايات أن الوليد بن عتبة بـن ربيعـة بـن عبـدشمس تزوج امرأة من يهود العرب في يثرب، وأنجبت له عاصماً.[٢٠] كما تـزوج عمـارة بـن عقبـة بن أبي معيط من يهودية من أهل دَورَان،[٢١] وأنجبت له عيسى.[٢٢]

يمكـن أن نميـز بـين مـرحلتين مـن مراحـل مـصاهرة بـني عبـدمناف لأهـل يثـرب، الأولى تسبق يوم بعـاث والثانيـة بعـده، وفي هـذا الـسياق يبـدو أن بـني عبـدمناف حرصـوا على مصاهرة الخزرج لما كانت لهـم الغلبـة في يثـرب، أمـا بعـد يـوم بعـاث فقـد تغـير الحـال بحكـم اتـصال الأوس بـالمكيين، ومحـاولتهم لأكثـر مـن مـرة عقـد حلـف معهـم، وإرسـال الوفود الأوسية إلى مكة لهذا الغرض، فتحولت أنظار المكيين إلى مصاهرة رجال الأوس، فلعل المصالح لعبت دورها في هذا التحول حيث انتصر الأوس في يوم بعاث علـى الخـزرج الذين طالما غلبوهم في الأيام السابقة.

ومع ذلك، فإن رغبة بني هاشم في مصاهرة الخزرج لا سيما بـني النجـار مـنهم، اسـتمرت إلى مـا بعـد الإسـلام إن لم تكـن قـد زادت عمـا كانـت عليـه في الفـترة الـسابقة

---

(١٩) ابـن هـشام، ٢: ٤٧٩؛ ابـن سـعد، *الطبقـات الكـبرى*، ٨: ٢٦٣؛ ابـن الأثـير، *أسـد الغابـة*، ٧: ٤٦.

(٢٠) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣.

(٢١) دوران: موضـع بـين قُديـد والجُحْفـة، ويوردهـا الـبلادي باسـم: ذو دّوْران، ويـذكر أنهـا علـى الطريق بين مكـة والمدينـة. يـاقوت، ٤٨٠٢؛ عـاتق بـن غيـث الـبلادي: *معجـم معـالم الحجـاز*، ط١، (مكة المكرمة: دار مكة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٨م)، ٣: ٢٣٧- ٢٤٠.

(٢٢) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣.

للإسلام، ولعل مرد ذلك إلى اختلاف الظروف والأهداف بسبب الهجرة، وسكنى المدينة، ولو أن الأمثلة في هذا الشأن قليلة.[٢٣]

ولم تقتصر مصاهرات سادة مكة لزعماء يثرب على أبناء عبدمناف بل إن أخوانهم من بني عبدالدار، وهم حجاب البيت وأصحاب اللواء، صاهروا رجالاً من يثرب لا سيما من الأوس، فقد تزوج عبدالعزى بن عثمان بن عبدالدار من امرأتين الأولى أوسية هي السلافة الكبرى بنت شهيد بن عمرو بن عوف وأنجبت له عبدالله وهو أبو طلحة، أما الثانية فهي امرأة يثربية لم تسمها المصادر، وأنجبت له شرحبيل.[٢٤] أما أبناء عبدالله أبي طلحة وأحفاده فقد أكثروا من مصاهرة اليثربيين فابنه الأكبر طلحة بن أبي طلحة(ت٣هـ/٥٢٦م) تزوج من سلافة الصغرى بنت سعد بن شهيد وهي من بني عمـــرو بن عوف الأوسيين وأنجبت له عثمان ومُسافعاً والجُلاس وكلاباً وقِيل والحارث، [٢٥] وتزوج مسافع بن طلحة بن أبي طلحة(ت٣هـ/٥٢٦م) من امرأة أوسية

(٢٣) ابن سعد، *الطبقة الخامسة من الصحابة*، تحقيق: محمد السلمي، ط١، (الطائف: مكتبة الصديق، ١٤١٤هـ)، ١: ٢٢٦؛ المصعب الزبيري، ٣٩. أما مصاهرات بني هاشم مع الأوس والخزرج في الإسلام، فقد أشارت إليها كتب النسب، وهي أيضاً قليلة بحكم ما تيسر من معلومات في المصادر المتاحة، وهي خارجة عن نطاق البحث. أنظر على سبيل المثال: المصعب الزبيري، ٤٩، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(٢٤) المصعب الزبيري، ٢٥٠-٢٥١.

(٢٥) محمد بن عمر الواقدي (ت٢٠٧هـ)، *المغازي*، تحقيق: مارسدن جونس، ط٣، (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٤هـ) ١: ٢٠٢؛ ابن هشام، ٣: ٦٢؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٣: ٣٥٢؛ المصعب الزبيري، ٢٥٢؛ خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ)، *الطبقات*، تحقيق: أكرم ضياء العمري، ط٢، (الرياض: دار طيبة، ١٤٠٢هـ)، ١٤. وينفرد المصعب الزبيري بذكر أن أم الحارث من بني سعد بن ليث، ولعل طلحة سمى ولدين من أبنائه بالحارث.

من بني الحارث بن الخزرج، وأنجبت له يزيد.[٢٦] وتزوج أبو سعد بن طلحة بن أبي طلحة(ت٣هـ/٥٢٦م) من أم إياس بنت أنس بن رافع من بني عبدالأشهل الأوسيين.[٢٧] أما إخوانهم من بني عبدالعزى، فقد تزوج أسد بن عبدالعزى بن قصي بن كلاب من الصعبة بنت خالد بن صقل ـ طفيل ـ من بني جحجبا من بني عمرو بن عوف بن مالك الأوسيين وأنجبت له طالباً وطليباً وخالداً، [٢٨] وتزوج حبيب بن أسد بن عبدالعزى من امرأة من يهود العرب في يثرب، وأنجبت له تويت، [٢٩] ويذكر الزبيري أن والدة تويت هي نفسها الصعبة بنت خالد بن طفيل خلف عليها بعد وفاة أبيه.[٣٠]

ولم يقتصر الزواج من يثربيات على من ذكرنا من بني عبدمناف، وإنما تعداهم إلى البطون القرشية الأخرى، فقد تزوج رجال من تلك البطون من نساء يثربيات، فمن بني زهرة بن كلاب تزوج عتبة بن نوفل من يهودية نبطية يقال لها قامى، فأنجبت له هاشماً وعامراً.[٣١] ومن بني جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي: تزوج عبدمناف بن عمير من امرأة من أهل خيبر، وأنجبت له مسافعاً، [٣٢] وتزوج قدامة بن مظعون الجمحي(ت٦٣هـ/٦٥٦م) من يهود العرب في يثرب، وأنجبت له عمراً.[٣٣] ومن

---

(٢٦) المصعب الزبيري، ٢٥٢؛ ابن حجر، الإصابة، ٣: ٦٦٢.

(٢٧) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ٢٤٣.

(٢٨) المصعب الزبيري، ٢٠٧، ٢١١. وانظر: علي بن أحمد بن حزم (ت٤٥٦هـ)، *جمهرة أنساب العرب*، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ)، ٣٣٥.

(٢٩) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣. وانظر: المصعب الزبيري، ٢١١.

(٣٠) المصعب الزبيري، ٢٠٧.

(٣١) المصعب الزبيري، ٢٠٧.

(٣٢) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣.

(٣٣) ابن حبيب، *المنمق*، ٤٠٣.

بني عدي بن كعب: تزوج زيد بن الخطاب(ت٢١هـ/٣٣٦م) من امرأتين من نساء الأوس هما: لبابة بنت أبي لبابة بن عبدالمنذر من بني عمرو بن عوف بن مالك، وأنجبت له عبدالرحمن، [٣٤] والأخرى جميلة بنت أبي عامر بن صيفي من بني النبيت بن مالك، وأنجبت له أسماء.[٣٥] تجدر الملاحظة إلى أن العامل الاقتصادي كان له دوره في هذا الشأن ؛ فكبار تجار قريش ممن كانت وجهتهم التجارية إلى بلاد الشام هم أكثر من تزوج من نساء يثرب، ولعل مما ساعد على ذلك أن نزولهم يثرب، واستراحتهم بها من عناء الطريق إلى الشام في الذهاب والإياب، واتجارهم في بعض أسواقها كان عاملاً مساعداً لوقوع تلك المصاهرات. ومما له دلالته في هذا الشأن، إن أبرز تجار قريش مع بلاد الشام، وصاحب العقد المشهور مع ملوكهم لتأمين تجارة قريش الواردة إليهم، وهو هاشم جد رسول اللهص، فقد سبق أن أشرنا إلى أنه كان متزوجًا من سلمى النجارية التي ذكرنا أنه رآها، وأعجب بها حينما نزل على أبيها في منزله بيثرب مستريحاً[٣٦] من عناء رحلته التجارية إلى الشام.[٣٧] ولعل زواج التاجر القرشي أبا بكر الصديق التيمي (ت٣١هـ/٤٣٦م) من حبيبة (مليكة) بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير (وقيل بنت زيد بن الخارجة)

---

(٣٤) اسن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٣:٣٤٨، ٨: ٢٦١.

(٣٥) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٣:٢٨٨. وانظر: ابن حبيب، المحبر، ٤٠٣.

(٣٦) وفي رواية أخرى أوردها ابن سعد (الطبقات الكبرى، ٦٤ : ١) أن هاشماً رأى سلمى النجارية في سوق النبط تأمر بما يشترى ويباع لها، وكانت حازمة جِلَدَة مع جمال، فأعجب بها.

(٣٧) البلاذري، ١ : ٧١؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢ : ٢٤٧.

من بني الحارث من الخزرج ، كان قبل هجرته إلى المدينة حيث أنجبت له أم كلثوم[٣٨] التي يذكر ابن سعد أنها روت حديث النهي عن ضرب النساء عن رسول الله.[٣٩]

ولم تقتصر المصاهرات مع أهل يثرب على رجال قريش البطاح ، بل لقد تزوج رجال من قريش الظواهر من نساء يثربيات لا سيما بطون عامر بن لؤي ، فزمعة بن قيس بن عبدشمس من بني حسل بن عامر بن لؤي كان متزوجًا من الشموس بنت قيس بن عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش من بني النجار الخزرجيين ، وهي التي أنجبت له أم المؤمنين سودة(ت٥٤هـ/٦٧٤م).[٤٠] ومنهم أيضاً عبد بن وقدان بن عبدشمس وقد تزوج من امرأة من بني النجار أيضا ، وأنجبت له مشنقاً.[٤١]

أما حلفاء قريش الذين صاهروا أهل يثرب فلدينا قلة في الأمثلة فمن فروع كنانة ممن قطن منهم في مكة وحالفوا أهلها بكير ـ ولدى ابن سعد أبو البكير ـ بن عبدياليل من بني ليث بن بكر بن عبدمناة بن كنانة حليف بني عدي بن كعب وقد تزوج من عفراء بنت عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار ، وأنجبت له خالداً و إياساً وعاقلاً وعامراً أبناء بكير ،[٤٢] وسار أياس(ت١٢هـ/٦٣٣م) على خطى والده في مصاهرة بني غنم بن

---

(٣٨) ابن سعد ، *الطبقات الكبرى* ، ٨ : ٢٦٩ ، ٣٣٧ ؛ المصعب الزبيري ، ٢٧٨ ؛ ابن الأثير ، *أسد الغابة* ، ٧ : ٦٠.

(٣٩) ابن سعد ، *الطبقات الكبرى* ، ٨ : ١٦٥ ، قارن ؛ المصعب الزبيري ، ٢٧٨ ؛ ابن الأثير ، *أسد الغابة* ، ٧ : ٣٨٣.

(٤٠) ابن سعد ، *الطبقات الكبرى* ، ٨ : ٤٢ ؛ المصعب الزبيري ، ٤٢٢ ؛ ابن الأثير ، *أسد الغابة* ، ٧ : ١٥٧.

(٤١) المصعب الزبيري ، ٤٢٢.

(٤٢) ابن خياط ، ٢٣- ٢٤ ؛ ابن حبيب ، *المحبر* ، ٣٩٩. وانظر : ابن سعد ، *الطبقات الكبرى* ، ٣ : ٢٩٧ ؛ ابن حزم ، ١٨٣.

مالك بن النجار حيث تزوج من الرُّبيّع بنت معوّذ بن الحارث بن رفاعة.[٤٣] ومن حلفاء قريش ممن تزوجوا من اليثربيات عبدالله بن عباد(ضماد) المشهور بالحضرمي الكندي حليف بني عبدشمس وقد تزوج من زهرة بنت مالك الأوسية وأنجبت له العلاء الصحابي المشهور(ت١٢هـ/٦٤٦م) وميموناً صاحب البئر التي بأبْطَح مكة.[٤٤]

وفي المقابل فقد حفظت لنا المصادر أسماء رجال من يثرب تزوجوا من نساء قرشيات وإن كانوا بحسب هذه المصادر أقل عدداً من سابقيهم القرشيين. وعلى الرغم من قلة الأمثلة في هذا السياق فإنها تعكس مكانة هؤلاء اليثربيين لدى أهل مكة وعمق مابينهم من اتصالات وتواصل، وإلا لما زوجوهم من بناتهم وتزوجوا هم من بناتهم، ولما تصاهروا معهم على قدم المساواة . ولا شك أن هذه المصاهرات كانت قد أدت دوراً ملموساً في تقوية أواصر الارتباط الاجتماعي بين سكان البلدتين. يتضح ذلك من حقيقة أن أحفاد عبدمناف (من بني هاشم والمطلب) زوجوا بناتهم من رجال من بني النجار الخزرجيين، أو أن بني النجار أنفسهم كانوا ممن حرص على تزويج أولادهم من نساء بني عبدمناف أصحاب السيادة في مكة، ومن هذه الأمثلة نذكر أن السيدة هند بنت المقوّم بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبدمناف تزوجها بشير بن عمرو بن محصن من بني مالك بن النجار، وأنجبت له بشيراً وعبدالله وعبدالرحمن.[٤٥] وتزوجت جمال بنت قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبدمناف من سعيد بن الحارث بن الصّمة بن عمرو بن عتيك، وهو أيضا من بني مبذول بن مالك بن النجار، وأنجبت له الصلت وأم الفضل.[٤٦] كما

---

(٤٣) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ٣٢٩.

(٤٤) ابن خياط، ١٢. وانظر: ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٤: ٢٦٦.

(٤٥) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٨: ٣٩؛ البلاذري، ٤: ٣٩٥.

(٤٦) المصعب الزبيري، ٧٥.

تزوجت أروى بنت ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب من حبّان بن منقذ، وهو من بني عمرو بن غنم بن مازن بن النجار من الخزرج، وأنجبت له واسعاً ويحيى.(٤٧) ومن بني تيم تزوجت قريبة بنت أبي قحافة عثمان بن عامر من قيس بن سعد بن عبادة الساعدي الخزرجي، (٤٨) ومن بني مخزوم تزوجت قريبة بنت الحارث بن هشام بن المغيرة من الحارث بن معاذ من بني عبدالأشهل من الأوس.(٤٩) وتزوجت امرأة من بني مخزوم لم يسمها المصدر من مسعود بن زرارة من بني مالك بن النجار الخزرجي.(٥٠)

وهناك نوع آخر من المصاهرات التي جرت بين أهالي هاتين البلدتين، ماهي إلا ثمرة من ثمار الأحلاف الشخصية التي سنأتي إلى ذكرها، والتي كان يعقدها الوافدون من بلد إلى بلدٍ آخر. ومن هذا النوع من المصاهرات كانت مصاهرة سفيان(من بني زُرَيْق بن عامر من الخزرج) لمعمر بن حبيب الجمحي عندما زوجه مولاته حسنة، فأنجب منها ولدين هما جابر(خالد) وجُنادة، (٥١) كما أسلفنا. ولا نستبعد أن الحلف الآتي ذكره والذي جرى عقده بين عتبة بن أبي وقاص الزهري، وبين عتبة بن المنذر بن أحيحة بن

---

(٤٧) المصعب الزبيري، ٨٨؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٤٣٧.

(٤٨) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ١٩٦؛ ابن حجر، الإصابة، ٤: ٣٩٠-٣٩١.

(٤٩) ابن سعد، *الطبقة الرابعة*، ٣١٩.

(٥٠) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ٣٢٥.

(٥١) ابن هشام، ١: ٣٢٧، ٤: ٣٦٤؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٤: ٩٤- ٩٥؛ الزبير بن بكار (ت٢٥٦هـ)، جمهرة نسب قريش وأخبارها، تحقيق: محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨١هـ)، ٢: ٨٩٠؛ ابن عبدالبر، ١: ٢٢٢- ٢٢٣، ٢: ٦٩. ١٣٩- ١٤٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١: ٣٠٣. ٣٥٥، ٢: ٤٠٨، ٧: ٦٥؛ ابن حجر، الإصابة، ١: ٢١١، ٢: ٥٧، ١٤٣.

الجُلاح الأوسي في يثرب كان سبب سكنى عتبة في يثرب لزمن ليس بقليل ؛[٥٢] لأن عتبة تزوج من إحدى نساء يثرب.

وفي المقابل هناك من أهل يثرب من قدم مكة، ونزل بها مقيماً لفترة ما، فتزوج من نسائها ـ سواء من قريش أو من حلفائها أو مواليها والأمر يرجع إلى مكانة الشخص المتقدم ـ ثم عاد بعد ذلك إلى بلده، ومن هؤلاء أبو قيس بن الأسلت[٥٣] الذي نزل مكة وتزوج من أرنب بنت أسد بن عبدالعزى، وأقام عندهم بامرأته سنينَ عاد بعدها إلى يثرب.[٥٤] ومنهم عبيد بن زيد بن عمرو بن بلال بن أبي الحرباء بن قيس بن مالك بن سالم بن غنم بن عوف بن الخزرج لما نزل مكة تزوج من أم أيمن بركة حاضنة رسول اللهص فولدت له أيمن، وحملها معه إلى يثرب، وبقيت هناك حتى مات زوجها، فعادت ثانية إلى مكة هي وابنها أيمن.[٥٥] وتزوج رجل من أهل يثرب من امرأة قرشية لم تذكر المصادر اسمها، وإنما هي من بني سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، فأنجبت له جابراً الذي أقام بمكة في أخواله بني سهم سبعة أشهر.[٥٦] وتزوج أنيس بن قتادة بن

---

(٥٢) المصعب الزبيري، ٢٦٣ ؛ ابن حبيب، *المنمق*، ٢٦٨- ٢٦٩ ؛ ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ٢ : ٥٣٦.

(٥٣) أبو قيس بن الأسلت من بني وائل (واقف في رواية ابن إسحاق) وهما من الأوس. ابن هشام، ١ : ٢٨٢ رواية ابن إسحاق، ٢٨٣ رواية ابن هشام ؛ ابن خياط، ٨٢.

(٥٤) ابن هشام، ٢٨٣

(٥٥) باسن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١ : ١٧٩ ؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١ : ٩٢. ٤ : ٤٣٢ ؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١ : ١٨٩. قارن: ابن عبدالبر، ١ : ٨٨. حيث يذكر أن أيمن هو ابن عبيد الحبشي.

(٥٦) أحمد بن عبدالله المحب الطبري (ت٦٩٤هـ)، القرى لقاصد أم القرى، تحقيق: مصطفى السقا، ط٣، (مكة المكرمة: المكتبة التجارية، ١٤٠٣هـ)، ٦٦١.

ربيعة من بني مالك بن عمرو بن عوف الأوسيين من جذامة بنت جندل الأسدية وهي من بني غنم بن دودان بن أسد حلفاء حرب بن أمية العبشمي المكي.[٥٧]

وهكذا أكدت كتب النسب التقارب بين أهل مكة وأهل يثرب عن طريق الزواج بين بيوتاتهم، وأن ميزان الزواج يميل لصالح المكيين الذين تزوجوا من يثربيات أكثر مما تزوج اليثربيون من مكيات، ولعل ذلك يعود إلى مكانة يثرب عند أهل مكة، وكذلك إلى أهمية موقعها بالنسبة لهم، فهناك عدد من اليثربيات تزوجن من أبناء الأسر المتنفذة في مكة، مما يشير إلى العلاقات الوثيقة بين أهل هاتين البلدتين، وربما كان المراد من هذه الزيجات من قبل المكيين تقوية الروابط مع زعماء يثرب الذين أسهموا في تأمين القوافل القرشية أثناء مرورهم وإقامتهم ببلادهم. ولا يستبعد أن هناك دوافع سياسية وتجارية وتبادل مصالح كان لها الأثر الأكبر في تأليف القبائل والمحافظة على اتصالاتهم وتواصلهم عن طريق المصاهرات التي كان لأهل مكة وأهل يثرب فيما بين بعضهم بعضا نصيب الأسد منها.

وقد خلَّفت المصاهرات بين أهل مكة وأهل يثرب صلات اجتماعية وثيقة تجاوزت الآباء والأمهات إلى أبنائهم وأحفادهم، بحيث تمثلت تلك الصلات في زيارة الأقارب هنا أو هناك والإقامة عندهم، من ذلك على سبيل المثال علاقات بني هاشم، وبني النجار حيث اعتادت جماعات من بني هاشم الخروج لزيارة أخوال آبائهم من بني النجار، نذكر من ذلك زيارات عبدالمطلب لأخواله من بني النجار في يثرب،[٥٨] وإقامة ابنه عبدالله لدى أخوال أبيه بني النجار في إحدى زياراته لهم شهراً،[٥٩] وخروج زوجته

---

(٥٧) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ١٩٢.

(٥٨) البلاذري، ١: ١٠٣.

(٥٩) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٧٩؛ البلاذري: ١: ١٠١.

آمنة بنت وهب بصغيرها البالغ من العمر ست سنوات برفقة جده عبدالمطلب وحاضنته أم أيمن إلى يثرب لزيارة أخوال جده عبدالمطلب. ويروي ابن سعد أن آمنة أقامت عندهم شهراً كاملاً.[٦٠] ويذكر البلاذري أنها اعتادت زيارة قبر زوجها عبدالله بيثرب.[٦١] والجدير بالذكر أن هذه الأمثلة هي لأشخاص ذوي قرابة قريبة للنبيص وذكرهم هو جزء من سياق سيرته عليه الصلاة والسلام لا مندوحة عنه. لذلك، فمن المحتمل أن المصادر سكتت عن كثير من حالات التواصل الاجتماعي الذي ربما كان قائماً بين أفراد ينتسبون لبيوت قرشية أخرى، وبين أخوالهم وأرحامهم من أهل يثرب .

كما خلَّفت تلك المصاهرات بين قريش وأهل يثرب قدرًا غير قليل من العصبية لدى الأخيرين تجاه أولاد بناتهم اليثربيات، وكذلك كانت في بعض أبناء قريش عصبية ملحوظة لأخوالهم بني النجار، من ذلك ماترويه المصادر من أن المطلب بن عبدمناف كان وصيًا من قبل أخيه هاشم على ابن أخيه عبدالمطلب بن هاشم، فلما توفي المطلب سطا أخوه نوفل بن عبدمناف على ساحات وأفنية (تسميها المصادر الأركاح مفرد: رَكْح)،[٦٢] تخص ابن أخيه عبدالمطلب، ولما لم يراعِ العم حقوق ابن أخيه لجأ عبدالمطلب إلى قومه شاكيًاعمه نوفلاً، وطلب منهم التدخل لإعادة أركاحه التي استلبها منه دون حق، إليه، إلا أن قومه من قريش لم يجيبوه إلى مطلبه، ومنهم من قال له: إننا

---

(٦٠) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٩٣. وانظر: ابن هشام، ١: ١٦٨؛ البلاذري، ١: ١٠٣؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ١٦٥- ١٦٦؛ إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ)، *البداية والنهاية في التاريخ*، ط٢، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٣٨٧هـ)، ٢: ٢٧٩.

(٦١) البلاذري، ١: ١٠٣.

(٦٢) ابن حبيب، *المنمق*، ص ٨٣؛ البلاذري، ١: ٧٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٥٠؛ ابن الأثير، *الكامل في التاريخ*، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٢هـ)، ٢: ١١.

لا تتدخل بينك وبين عمك نوفل![٦٣] فلما رأى عبدالمطلب خذلان قومه له، وإعراضهم عنه التجأ إلى بني النجار في يثرب، وهم أخواله من جهة أمه سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد من بني عامر بن غانم بن عدي بن النجار بن ثعلبة بن عمرو من الخزرج المذكورة قبل.[٦٤] وكان عبدالمطلب نفسه قد تربى في أوساطهم زمنًا أشرنا إليه سابقاً.

طلب عبدالمطلب من أخواله بني النجار العون والمساعدة، بل والانتصار بهم على عشيرته من قريش في سبيل استرداد حقوقه المسلوبة، وأرفق بطلبه ذلك قصيدة استغاثة واستنهاض لهمم الأخوال نحو نجدة ابن أختهم، ومما جاء في تلك القصيدة:[٦٥]

ياطُولَ لَيْلِي لأَحْزانِي وأَشْـغَـالِيْ ... هَلْ مِن رَسُولٍ إلى النَّجَارِ أَخْوَالِيْ!
يُنْبِيء عَدِيًّا ودِينارًا[٦٦] ومَازِنَـهَا ... ومالِكًا عِصْمَةَ الجِيرَانِ عن حالِـي
قد كُنْتُ فيكُمْ ولا أَخْشَى ظُلامةَ ذِيْ ... ظُلْمٍ عزيزًا مَنيعًا ناعِمَ البَـالِ
حتَّى ارْتَحَلْتُ إلى قَـوْمِي وأَزعَجَنِـي ... عن ذَاكَ مُطَّلِبٌ عَمِّي بِتَرْحَـالِ

ثم تمضي القصيدة في شرح حال عبدالمطلب، وما كان يتمتع به من الحماية والمنعة في عهد عمه المطلب بن عبدمناف، فلما رحل سطا عمه الآخر على حقوقه ـ كما

(٦٣) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤٨؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢: ١١. وانظر: ابن حبيب، *المنمق*، ص٨٣؛ البلاذري، ١: ٧٧.

(٦٤) ابن حبيب، *المنمق*، ص ٨٤.

(٦٥) ابن حبيب، *المنمق*، ٨٤؛ البلاذري، ١: ٧٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٥٠.

(٦٦) وردت في *المنمق*، ٨٤ "ذبياناً"، وهو خطأ من المحقق. والأصح ما ورد لدى البلاذري (١: ٧٧)، والطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٥٠؛ فعدي ودينار ومازن ومالك بطون من بني النجار (ابن خياط، ٨٧، ٨٨). أما ذبيان فلا علاقة لها ببطون بني النجار، والغريب أن خورشيد فاروق محقق كتاب المنمق خطّأ ما ورد لدى البلاذري والطبري، وكرّر ذلك في كل مرة يرد فيها ذكر دينار زاعماً أنها ذبيانٌ. راجع *المنمق*، ٨٤ هامش ٢، ٨٥ هامش ٣.

قدمنا ـ، ولم يجد من قومه من يعينه، ويرفع عنه الظلم، لذلك لا بد له من الالتجاء إلى أخواله في يثرب ؛ فهم خير من يمنع عنه الضيم، ويعينه على استرداد حقوقه المسلوبة.(٦٧)

ومما جاء في ختام تلك القصيدة من استنفار للأخوال: (٦٨)

فاسْتَنْفِرُوا وَامْنَعوا ضَيْمَ ابنِ أخْتِكُمُ لا تَخْذُلُوهُ وَمَا أنتُمْ بخُذَّالِ
ما مِثْلُكُمْ في بَني قَحْطانَ قاطِبَةً حيٌّ لِجارٍ وَإنْعام وَإفْضالِ

وقد فعلت هذه القصيدة التي بعثها عبدالمطلب إلى أخواله بني النجار، فعلها في استنهاض أولئك الأخوال الذين أقبلوا كما تصفهم بعض الروايات "على كل صعب وذلول".(٦٩) وكان عدد من قدم منهم مكة ثمانين رجلاً جاءوا إليها بكامل سلاحهم وعدتهم، فلما رآهم نوفل قال: " ما أشخص هؤلاء إلا الشر، فخافهم فرد على ابن أخيه الأركاح وأحسن إليه.(٧٠) وفي بعض الروايات أنهم حينما قدموا مكة أناخوا إبلهم بفناء الكعبة، فلما رآهم نوفل قال لهم أنعموا صباحًا ! فرد عليه القوم تحيته قائلين له: لا نِعَم صباحك أيها الرجل ! ثم خاطبوه بحزم "أنصف ابن أختنا من ظلامته" فاستجاب نوفل لمطلبهم، ورد على ابن اخيه ماأخذه منه وأنصفه.(٧١) وقيل: إنما نزلوا بالأَبْطَح، وعلى رأسهم أبو أسعد ـ سعيد ـ بن عدس ـ عدي ـ النجاري، فالتقاهم عبدالمطلب هناك، وقال له: المنزل ياخال ! فلم يقبل أبو أسعد حتى يلقي نوفلاً، فلما لقيه بالحِجْر مع مشايخ قريش سَّل سيفه، وأقسم عليه بالكعبة أن يرد على ابن أخته ماأخذه منه، وإلا

---

(٦٧) انظر القصيدة كاملة في: ابن حبيب، المنمق، ٨٤؛ البلاذري، ١: ٧٧؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢: ٢٥٠.

(٦٨) ابن حبيب، *المنمق*، ٨٤؛ البلاذري، ١: ٧٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٥٠.

(٦٩) ابن حبيب، *المنمق*، ٨٥.

(٧٠) ابن حبيب، *المنمق*، ٨٥.

(٧١) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٥١.

ملأ سيفه من لحمه، فأقسم نوفل كذلك بأنه سيرد إلى عبدالمطلب ما أخذه منه، وأشهد عليه من حضر، فقال الخال لعبدالمطلب: الآن المنزل يابن أختي! فأقام عنده ثلاث ليال واعتمر.(٧٢)

وعلى الرغم من اتفاق الروايات على هذه الحادثة وأسبابها ومضمونها فإن هناك رواية أخرى تختلف عن سابقتها في نص القصيدة التي بعثها عبدالمطلب إلى أخواله في طلب النجدة وهي:(٧٣)

أبلغ بني النجار إنْ جئتَهْم أنِّي منهُمْ وابنهُمْ والْخَمِيْس
رَأيتُهُمْ قوْمًا إذا جئتهُم هوُوا لقائي وأحبوا حَسِيْس
فإن عَمّي نَوْفلاً قد أَبَى إلاَّ التي يُغْضي عليها الخَسِيْس

(٧٢) الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢ : ٢٤٩؛ ابن الأثير، الكامل، ٢ : ١١- ١٢. من جهة أخرى، روى محمد بن أبي بكر هذه الحادثة لموسى بن عيسى – وأظنه موسى بن عيسى بن موسى بن محمد الهاشمي الأمير العباسي، تولى الحرمين للمنصور والمهدي، وتولى مصر للرشيد توفي ببغداد عام ١٨٣هـ/٧٩٩م، فقال موسى: يا أبا بكر: "هذا شيء ترويه الأنصار تقرباً إلينا؛ إذ صيَّر الله الدولة فينا عبدالمطلب كان أعز في قومه من أن يحتاج إلى أن تركب بنو النجار من المدينة إليه. قلت أصلح الله الأمير! قد احتاج إلى نصرهم من كان خيراً من عبدالمطلب. قال: وكان متكئاً مُغْضباً، وقال من خير من عبدالمطلبّ قلت: محمد رسول الله. قال: صدقت، وعاد إلى مكانه". الطبري: تاريخ، ج٢ ص٢٤٩- ٢٥٠؛ محمد بن يوسف الكندي (ت٣٥٠هـ)، تاريخ ولاة مصر، ط١، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٧هـ)، ١٠٦، ١٠٨، ١١٠؛ أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي (ت٨٧٤هـ)، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة* (القاهرة: المؤسسة خير الدين الزركلي، *الأعلام*، ط٤، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٩م)، ٧: ٣٢٦.

(٧٣) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤٨-٢٤٩.

ومهما يكن من أمر فقد كان لهذه الحادثة ردود فعل ظهرت في شعر عبدالمطلب المعبر عن ارتياحه لنجدة أخواله له، وتمكينه من استرداده لحقوقه المسلوبة حين يقول: (٧٤)

تأبَّى مــازنٌ وبنو عَدِيّ ودينارُ بنُ تيـمِ اللاتِ ضَيْمِي
وسـادَةُ مَالِك حتَّى تَنَاهَى ونَكَّبَ بَعدُ نَوْفَلُ عن حَريمي
بِهِمْ رَدَّ الإلهُ علَيَّ رُكْحي وكانوا في التَّنَسُّبِ دونَ قَوْمِي

كما ظهرت أصداؤها في شعر غيره، ومنهم أبو عمرو سمرة بن عمير الكناني(٧٥) إذ يقول: (٧٦)

لَعَمْرِي لأخْوَالٌ لشَيْبَةَ قَصْـــرةٌ مِن أعْمَامِه دِنْيَا أَبَرُّ وأوْصَـلُ
أجَابُوا على بُعْدٍ دُعَاءَ ابْنِ أُخْتِهِمْ ولَمْ يَثْنِهِمْ إذْ جَاوَزَ الحَقَّ نَوْفَلُ
جَزَى اللهُ خَيْرًا عُصبَةً خَزْرَجِـــيَّةً تَواصَوْا على بِرٍّ، وذو البِرّ أفْضَلُ

ويروى أيضاً أن نوفل بن عبدمناف نافس عبدالمطلب على سقاية الحجاج بين الصفا والمروة، فاستنجد عبدالمطلب بأخواله من بني النجار.(٧٧)

ولا يخفى على دارسي التايخ الإسلامي في صورته الأولى مدى التعاطف والتقارب بين بني عبدالمطلب والأنصار، بل إننا لا نستبعد أن سرعة استجابة الأوس

(٧٤) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢ : ٢٤٩. وانظر: ابن حبيب، *المنمق*، ٨٥؛ البلاذري، ١ : ٧٨.

(٧٥) وفي ابن حبيب، *المنمق*، ص٨٥، شمر بن عويمر الكناني، ولدى البلاذري، ١ : ٧٨، شمر بن نمر الداني.

(٧٦) الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢ : ٢٤٩. وانظر: ابن حبيب، *المنمق*، ٨٦؛ البلاذري، ١ : ٧٨-٧٩.

(٧٧) الزبيري، ١٩٧، صالح العلي، *محاضرات في تاريخ العرب قبل الإسلام* (الموصل: دار الكتب، ١٩٨١م)، ٢٦٢.

والخزرج لدعوة النبي ρ، وهجرته إلى بلدهم هو ماكان لأبيه عبدالله وجده عبدالمطلب من خؤولة في بعض بطون أهل يثرب منذ ماقبل الإسلام .

ثانياً : الأحلاف وا وار

الحِلْف : العهد يكون بين الناس ، وحالف شخص شخصًا أي عاهده ، والأصل فيه المعاقدة والمعاهدة على التعاضد والتساعد والاتفاق.[٧٨] والحليف المحالف بالأيمان على الوفاء فيما كان بينه وبين حليفه ، والجمع أحلاف وحلفاء.[٧٩] وهو تقليد اجتماعي قديم عرفه العرب منذ ماقبل الإسلام ، واهتمت به قريش كثيرًا حتى إن بعض أفراد من بطونهم من نُسب إلى بعض ماكان بينهم من أحلاف وخصوصًا حلف المطيّبين ، وحلف الأحلاف[٨٠] المشهورين.[٨١] وأخذ به النبي ص في مبتدأ هجرته إلى يثرب حينما حالف

---

(٧٨) أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير (ت٦٠٦هـ)، *النهاية في غريب الحديث*، تحقيق : طاهر الزاوي ومحمود الطناحي (بيروت : المكتبة العلمية ، د.ت)، ١ : ٤٢٤ ؛ محيي الدين بن شرف النووي (ت٦٧٦هـ)، *تهذيب الأسماء واللغات* (بيروت : دار الكتب العلمية ، د.ت)، ٣ : ١٩١ ؛ محمد بن مكرّم بن منظور (ت٧١١هـ)، *لسان العرب المحيط* ، تحقيق : يوسف خياط ، (بيروت : دار لسان العرب ، د.ت)، ١ : ٦٩٦-٦٩٧.

(٧٩) ابن الأثير، *النهاية* ، ١ : ٤٢٤ ؛ ابن منظور ، ١ : ٦٩٦-٦٩٧.

(٨٠) والمطيبيون هم بنو عبدمناف وبنو أسد بن عبدالعزى وبنو زهرة وبنو تيم وبنو الحارث بن فهر. أما الأحلاف فهم بنو عبدالدار وبنو جمح وبنو مخزوم وبنو عدي بن كعب وبنو سهم. ولمزيد من التفاصيل عن الحالفين انظر : ابن هشام ، ١ : ١٣١ ، ١٣٢ ؛ المصعب الزبيري ، ٣٨٣ ؛ ابن حبيب ، *المحبر*، ١٦٦ ؛ محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي (ت ٢٧٩هـ)، *أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه* ، تحقيق : عبدالملك بن دهيش ، (مكة المكرمة : مكتبة النهضة الحديثة ، ١٤٠٧هـ)، ٥ : ١٧٩ ؛ علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، تحقيق : يوسف داغر ، ط٣. (بيروت : دار الأندلس ، ١٠٧٨م)، ٢ : ٣٢، ٣٣٣، =

بـين المهـاجرين والأنـصار، [٨٢] ثـم اسـتبدله بنظـام المؤاخـاة، ونهـى عنـه بعـد الفـتح، وخصوصًا ماكان منه في الجاهلية موجهًا نحو الفتن والقتال بين القبائل وغارات السلب والنهب، فهذا ماوقع عليه النهي لقوله ص: " لا حلف في الإسلام ".[٨٣] أما ماكان منه في الجاهلية في وجه الخير، ونصرة المظلوم، وصلة الأرحام كحلف المطّيبين وحلف الفضول[٨٤] (٥٩٠م)، فذلك الذي قال فيه ص: " وأيما حلف كان في الجاهلية لم يزده

= محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، *ربيع الأبرار ونصوص الأخبار*، تحقيق: سليم النعيمي، (بغداد: مطبعة العاني، د.ت)، ٢: ١٦٣؛ ابن الأثير، *النهاية*، ٤٢٥.

(٨١) وقد تكرر في الحديث ما يؤيد ذلك؛ منه حديث ابن عباس: "وجدنا ولاية المطيبي خيراً من ولاية الأحلافي" يريد أبا بكر وعمر، لأن أبا بكر كان من المطيبين وعمر من الأحلاف. ومنه الحديث: "أنه لما صاحت الصائحة على عمر، قالت: واسيد الأحلاف". ابن الأثير، *النهاية*، ١: ٤٢٥.

(٨٢) محمد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، *صحيح البخاري*، موسوعة الحديث الشريف، تحقيق: صالح آل الشيخ، ط٣، (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ)، ١٧٨، ٥١٤، ٦١١؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (ت٢٦١هـ)، *صحيح مسلم*، موسوعة الحديث الشريف، تحقيق: صاح آل الشيخ، ط٣، (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ)، ١١٢١؛ ابن الأثير، *النهاية*، ١: ٤٢٤.

(٨٣) الواقدي، ٢: ٧٨٢، ٨٦٧؛ *البخاري*، ١٧٨، ٥١٤، *مسلم*، ١١٢١.

(٨٤) في هذا الحلف اتفق بنو هاشم وبنو المطلب وبنو تيم وبنو زهرة وبنو الحارث بن فهر على نصرة المظلوم. ابن هشام، ١: ١٣٣؛ ابن حبيب، المحبر، ١٦٧؛ المنمق، ١٨٦- ١٨٩؛ الفاكهي، ٥: ١٩١، ١٩٢، ١٩٥، النووي، ج٣ ق١: ١٩١، محمد بن أحمد الفاسي (ت٨٣٢هـ)، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر تدمري، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٥هـ)، ٢: ١٥٧.

الإسلام إلاشدة "،(٨٥) و" حليف القوم منهم ".(٨٦) ومن الأحلاف ماكان جماعياً مايكون بين قبيلة وأخرى، أو بين عشيرة أو أهل بيت، ومن يماثلهم من حلفائهم الآخرين. ومنها ماكان فردياً، وهو مايقوم بين الأفراد بعضهم بعضًا. ولدينا مما كان قائمًا عند ظهور الإسلام بين أهل مكة وأهل يثرب أحلاف قليلة جداً رغم الاتصالات القوية بين المدينتين. ومعظم ماوصلنا من أخبار الأحلاف بين أهل مكة وأهل يثرب وقع قبيل الهجرة النبوية الشريفة بسنين معدودة وأكثر هذه الأخبار ذكرها مؤلفو السيرة عرضاً عند ذكرهم لأحداث السيرة الأخرى مما يدل على أنه غاب عنا الكثير منها مما كان بين قريش وأهل يثرب قبل هذه الفترة.

ولعل أول ما يجدر بنا إيراده من هذه الأمثلة ذلك الذي يتصل بقدوم أبي الحيسر أنس بن رافع(٨٧) وإياس بن معاذ(٨٨) وجماعة من بني عبدالأشهل من الأوس يقدرهم

---

(٨٥) الواقدي، ٢: ٧٨٢، ٨٦٧- ٨٦٨؛ ابن حبيب، *المنمق*، ٢٦١؛ عبدالله الدارمي (ت٢٥٥هـ)، سنن الدارمي، تحقيق: فواز زمزلي وخالد العلمي، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ)، ٢: ٣١٦؛ الطبري، *جامع البيان في تفسير القرآن*، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٧هـ)، ٥: ٣٦؛ ابن الأثير، *النهاية*، ١: ٤٢٤.

(٨٦) الدارمي، ٢: ٣١٧؛ سليمان بن أحمد الطبراني (ت٣٦٠هـ)، *المعجم الكبير*، تحقيق: حمدي السلفي، ط٢ (دهوك: د.ن، ١٤٠٤هـ)، ١٧: ١١٨؛ محمد بن عبدالله الحاكم (ت٤٠٥هـ)، *المستدرك على الصحيحين*، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ)، ٤: ٨٢؛ محمد بن أحمد الذهبي (ت٧٤٨هـ)، *سير أعلام النبلاء*، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م)، ١: ٣٠٥.

(٨٧) أنس بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبدالأشهل أبو الحَيْسَر. ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ١٤٧.

(٨٨) إياس بن معاذ الأنصاري الأشهلي الأوسي. مات مسلماً قبل هجرة النبي ρ، ابن عبدالبر، ١: ١٠٣؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ١٨٦؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١: ٩٠- ٩١.

ابن سعد بخمسة عشر رجلاً ، حيث قدم هؤلاء إلى مكة لعقد حلف مع قريش يتقوون به في مواجهتهم للخزرج الذين ما برحوا ينتصرون عليهم في حروبهم التي لا تكاد تنقطع . غير أن قريشاً لم تستجب لمطلبهم متعللة ببعد المسافة مابين مكة ويثرب حتى قال قائلهم : " بعدتْ داركم منّا ، متى يُجيب داعينا صريخكم ومتى يجيب داعيكم صريخنا ! " ، (٨٩) فعاد هؤلاء إلى يثرب دون نتيجة تذكر. وعلى الرغم من هذه العودة المخيبة للآمال إلا أن الأوس تمكنوا من الانتصار على الخزرج في أول حرب خاضوها معهم بعد عودتهم من مكة ، وذلك في يوم بُعَاث(٥ ق.هـ/٦١٦م). (٩٠) وعلى الرغم من أننا لا نملك دليلاً على هذا التحول في ميزان الحرب بين القبيلتين خصوصاً في ظل ما أشرنا إليه من اعتذار

(٨٩) ابن سعد ، *الطبقات الكبرى* ، ٣ : ٣٣٤. ولا نظن أن بعد المسافة بين مكة ويثرب هو السبب الحقيقي وراء عدم قبول قريش إبرام حلف مع وفد الأوس ، وإنما يعود السبب إلى كراهية قريش للحرب لكونهم أهل تجارة ، وأهل حمس ، ويحرصون دائماً على مبدأ الحياد في صراعات القبائل بين بعضهم بعضاً.

(٩٠) ابن هشام ، ٢ : ٤٢٧ ؛ البلاذري ، ١ : ٢٧٤ ؛ الطبري ، *تاريخ الرسل والملوك* ، ٢ : ٣٥٢ ؛ ابن عبدالبر ، ١ : ١٠٣ ؛ ابن الأثير ، *أسد الغابة* ، ١ : ١٤٧ ، ١٨٦ ؛ *الكامل* ، ١ : ٦٧٧- ٦٧٨ ، ٢ : ٩٥ ؛ محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ) ، زاد المعاد في هدي سيد العباد ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط٢٥ ، (الكويت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩١م) ، ٣ : ٤٤ ؛ ابن كثير ، ٣ : ١٤٨ ؛ ابن حجر ، *الإصابة* ، ١ : ٩١. وانظر حسان بن ثابت الخزرجي الأنصاري (ت٥٤هـ) ، *ديوان حسان بن ثابت الأنصاري* ، تحقيق : وليد عرفات ، (بيروت : دار صادر ، ١٩٧٤م) ١ : ٢٤٣- ٢٤٤. ويُعاث موضع في نواحي المدينة على ليلتين منها ، وقيل من أموال بني قريظة ، وهذا مارجّحه البلادي ، إلا أننا نرجح القول الأول ، لأن بعاث بني قريظة ملك خاص فكيف تجري فيها الحرب ، وهم ليسوا طرفاً فيها؟ هذا إلى أن المعارك التي تنشب بترتيب سابق غالبًا ما يخرج فيها الطرفان إلى مكان معين يحددانه ، ويلتقيان عنده. ياقوت ، ١ : ٤٥١ ؛ البلادي ، *معجم معلم الحجاز* ، ١ : ٢٣٦. وانظر : ابن بكار ، *جمهرة نسب قريش* ، ٢ : ٨٨٩.

القرشيين لوفد الأوس، إلا أن هذا الانتصار ربما يعطي مؤشراً على وجود دعم ولو معنوي كانت قد قدمته قريش أو بعض أفرادهم للأوس، ويقوي هذا الاحتمال ما تشير إليه بعض المصادر من أن بعض رجال من قريش قاتلت جنباً إلى جنب مع الأوس ضد الخزرج في يوم بعاث المذكور.(٩١)

من الأحلاف التي حرص أهل يثرب على عقدها مع قريش أيضاً، ماحدث لما أدرك الأوس والخزرج معًا خطورة الحرب التي كانت قائمة بينهم، وما جرته تلك الحرب عليهم من ويلات وخسائر في الأرواح والأموال حتى أضعفتهم، وجرأت عليهم أعداؤهم لا سيما من اليهود ـ خرجوا إلى مكة طالبين عقد حلف مع قريش لتقويتهم، ويقال إن قريشاً أجابتهم لعقد ذلك الحلف، ولكنهم بعد ذلك اشترطوا على الأوس والخزرج شروطًا لم تطب لهم، فعدل الأخيرون عنه.(٩٢)

وهكذا لم تكن محالفة بعض أهل يثرب لأناس من قريش مرحباً بها على الدوام، بل لقد وجد من الأدلة مايفيد بأن قريشاً تنصّلت من حلفها لبعض أهل يثرب حتى بعد قيامه من ذلك أن قوماً من أهل يثرب من الأوس خرجوا من ديارهم، ونزلوا مكة طالبين محالفة قريش، فقبلت الأخيرة هذا العرض، وعقدت حلفاً مع الأوس، فلما علم قاضي مكة الوليد بن المغيرة المخزومي بهذا الحلف قال لقومه: " والله مانزل قوم قط على قوم إلا أخذوا شرفهم، وورثوا ديارهم، فاقطعوا حلف الأوس ". فأسقط في أيدي قريش الذين قبلوا حلف الأوس، لما في قطعه دون مبرر من حرج لهم، فطلبوا من الوليد أن يجد لهم مبررًا للتنصل مما قطعوه على أنفسهم من حلف. فقال لهم: " إن في القوم حشمة " أي غيرة على نسائهم، فتذّرعوا لهم بقولكم أنكم نسيتم أن تذكروا لهم أن من

---

(٩١) ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ٥٣٦.

(٩٢) اليعقوبي، ٢: ٣٧.

عادتكم أن النساء إذا طفن بالبيت، وأعجبت إحداهن رجلاً منكم أنه يعمد إلى تقبيلها ولمسها بيده، فلم يعجب هذا القول الأوس، بل نفروا منه وقالوا: "اقطعوا الحلف بيننا وبينكم فقطعوه"، (٩٣) ولسنا في معرض تفنيد صحة هذه الرواية من عدمها، بقدر مانحملها على أن بعض القرشيين أرادوا التنصل من حلفهم هذا الذي قطعوه للأوس. وهذه الرواية التي يوردها ابن حبيب، وترد عند غيره وإنما على درجات متفاوته من التفصيل والإيجاز، (٩٤) يوردها ابن حبيب نفسه على وجه آخر أكثر تفصيلاً حينما يذكر أن بني عبدالأشهل وبني ظَفَر وهما بطنان من الأوس، وكذلك بني معاوية وأهل راتج، (٩٥) قد خرجوا إلى مكة ليس من أجل العمرة، وإنما بقصد النزول على قريش وعقد حلف معهم، ويبدو أن قومهم كانوا متحمسين لعقد ذلك الحلف حتى أن شاعر الأوس، وأحد صناديدها، وهو قيس بن الخطيم(ت٢ ق هـ/١٢٦م)، (٩٦) قال في خروجهم إلى مكة قصيدة كانت من روائع مانظم من الشعر توضح تعشمهم بحلف قريش العز والمؤازرة والنصرة، (٩٧) فتم لهم ما أرادوا في غيبة أبي جهل، عمرو بن هشام بن

---

(٩٣) ابن حبيب، *المنمق*، ٢٦٨؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١: ٦٧٧- ٦٧٨. وانظر: المصعب الزبيري، ٣٠٠- ٤٢٤.

(٩٤) ابن الأثير، *الكامل*، ١: ٦٧٧- ٦٧٨. وانظر: اليعقوبي، ٢: ٣٧.

(٩٥) راتج على وزن فاعل، وهو أحد آطام المدينة، وهو لبني زعروا بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو، وهو النبيت بن مالك بن الأوس. ياقوت، ٣: ١٢.

(٩٦) علي بن الحسين أبو الفرج الأصبهاني (ت٣٥٦هـ)، *الأغاني*، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ٢: ١٥٤- ١٦٤؛ الزركلي، ٥: ٢٠٥.

(٩٧) مما قال قيس في ذلك:

وتَحْملُ جَمْعَكم عنا قريش ... كأن بنائَهم تفـــريكُ بُسْرِ

تلاقوا عشرة الأحلاف طرأ ... فشدوا كســرَ عزمِهم بجبرِ =

المغيرة المخزومي(ت٢هـ/٤٢٦م)، الذي كان على سفر، فلما عاد من سفره، وبلغه أمرذلك الحلف قال لقريش مثل قول الوليد بن المغيره إلا أنه هو نفسه تطوع بتدبير مخرج لهم من الحلف المذكور، وذلك بأن قال لتلك البطون من الأوس بأنهم حالفوا قومه في غيبته، وأنه جاء لمحالفتهم، إلا أنه قبل ذلك ينبغي أن يكون واضحاً لهم بأن من عادة قريش أنهم حينما يُعجب رجل منهم بامرأة من نساء قومه فإنه يعمد إلى ضربها على عجزها، وأن نساءهم لن يكنّ بمأمن من هذه العادة إذا هم قبلوا بالتحالف معهم. فلم يعجب هذا الشرط تلك البطون من الأوس فقالوالأبي جهل: "إنا لا نقرّ بهذا، وقد رددنا إليكم حلفكم".[٩٨] وهكذا يتضح أن التحالف بين أهل يثرب وأهل مكة لم يكن دائماً محل ترحيب، وأن بعض المكيين لا سيما من بني مخزوم، ذوي النفوذ في مكة، كانوا يضعون العراقيل في طريق بعض الخطوات الرامية إلى إجراء تحالف مابين تلك البلدتين العريقتين.

وإذا كان نزول أهل يثرب على أهل مكة على صورة أحلاف غير مرحب به عند بعض المكيين فإن الله سبحانه وتعالى شاء أن ينعكس الأمر، وأن يُعلي من شأن يثرب بنزول محمد ρ على أهلها؛ ذلك أنه لم يمض زمن طويل(حوالي خمس سنوات) حتى انعكس الأمر بقبول أهل يثرب لنزول بعض المكيين عليهم في بلدهم، وذلك حينما وجدت دعوة النبي ρ آذانًا صاغية من أهل يثرب بحييهم: الأوس والخزرج، فاعتنقوا

= ملكنا العزَّ قد علمت معدٌ فلم تذللْ بيثربَ غير شهرِ
خذلناهُم وأسلمْنا الموالي وفارقنا الصـــريخ لغيرِ فقرِ

قيس بن الخطيم الأوسي (ت ٢ق. هـ)، ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، ط٣ (بيروت: دار صادر، ١٤١١هـ)، ١٨٢- ١٨٧؛ ابن حبيب، *المنمق*، ٢٧٠- ٢٧١.

(٩٨) ابن حبيب، *المنمق*، ٢٦٩، ٢٧١. وانظر: أبو الفرج اللأصبهاني، ٢: ١٥٨؛ ابن عبدالبر، ٤: ٢٧١؛ ابن الأثير، *الكامل*، ١: ٦٧٧؛ ابن حجر، *الإصابة*، ٤: ٢٧٦.

مابشر به من الدين الحنيف، ودعوه إلى الهجرة إلى بلدهم، وعقدوا معه أهم حلف عقده أهل يثرب مع أهل مكة فيما يعرف ببيعة العقبة الثانية (٦٢٢م) المعروفة في كتب السيرة النبوية، والمتناولة بقدر غير قليل من التفصيل في كثير من الدراسات الحديثة مما يغنينا عن الخوض فيها.(٩٩) وعلى الرغم من أن وفد الأوس والخزرج كانوا جميعًا من المسلمين فإن الصيغة التي جرى بها ذلك العهد كانت على نسق الحلف الذي كان ساريًا بين العرب قبل الإسلام حيث توثق كل من الحليفين أو المتعاهدين لنفسه من الآخر، فالنبي ρ قال لوفود يثرب: "أُبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم". أما اليثربيون فقالوا للنبي ρ: "إن بيننا وبين الرجال حبالاً، وإنا قاطعوها - يعني اليهود - فهل عسيت إن نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟" فأجابهم ρ مبتسمًا: "بل الدم الدم، والهَدْم الهَدْم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتم، وأسالم من سالمتم".(١٠٠) وهي عبارات اعتادت العرب قولها عند عقد الحلف والجوار.(١٠١)

---

(٩٩) علي سبيل المثال انظر: مهدي رزق الله أحمد، *السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية*، ط١، (الرياض: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ)، ٢٤٨-٢٥٦؛ أكرم ضياء العمري، *السيرة النبوية الصحيحة*، ط١ (الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٦هـ)، ١:١٩٨-٢٠١.

(١٠٠) ابن هشام، ٢:٤٤٢، *رواية ابن إسحاق*؛ الفاكهي، ٤:٢٣٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢:٣٦٣؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢:٩٩؛ ابن كثير ٣:١٦١. وفي رواية لابن هشام (٢:٤٤٣) مفادها: "ويقال: الهَدم الهَدم: (يعني الحرمة). أي ذمتي ذمتكم، وحرمتي حرمتكم".

(١٠١) الطبري، *جامع البيان*، ٥:٣٤، إلهام البابطين، *الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي*، ط١، (الرياض: مطابع الخالد، ١٤١٩هـ)، ص٥٤.

وحينما استتب الإسلام في المدينة وأظهر اليهود عداءهم للمسلمين انقطعت مابينهم وبين الأوس والخزرج من أحلاف، وعلى العكس من ذلك نجد أن اليهود خاصة بني النضير عقدوا حلفين مع قريش أحدها فردي وهو أن أبا سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس(ت١٣ ـ ٤٣هـ/١٥٦ـ ٤٥٦م) عقد حلفا مع سيد بني النضير سلام بن مشكم بعد بدر ٢هـ/٤٢٦م.(١٠٢) والثاني جماعي فقد عقد رجال قريش بزعامة أبي سفيان حلفاً مع كعب بن الأشرف النضري(وهو من اليهود العرب قيل أن أباه من طيء من بني نبهان، وأمه من بني النضير ت٣هـ/٤٢٦م) عندما قدم الأخير مكة في أربعين من رجال اليهود والتقوا بأبي سفيان في أربعين رجلاً من قريش، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بين أستار الكعبة.(١٠٣) وهذا الحلف سياسي أملاه عداء قريش واليهود لدولة الإسلام مما يجعله لا يدخل في صميم العلاقات الاجتماعية التي هي موضوع بحثنا.

أما الأحلاف الفردية التي كانت تعقد بين أهالي البلدتين بهدف المصالح الشخصية منها ذلك الذي كان قائماً بين عتبة بن أبي وقاص الزهري من قريش، وبين عتبة بن المنذر بن أحيحة بن الجُلاح الأوسي من يثرب، فكان حلفا ثابتا ترتب عليه اتخاذ عتبة بن أبي وقاص داراً بقبا فكان ينزلها.(١٠٤) بينما يذكر كل من المصعب الزبيري والزبير بن بكار: ان عتبة بن أبي وقاص هرب من جناية قتل في مكة قبل الهجرة، ولجأ إلى يثرب

---

(١٠٢) هذا الحلف الذي أثنى عليه أبو سفيان بشعره فقال:

وإني تخَيَّرتُ المدينةَ واحدا لحِلْفٍ فلم أنْدَم ولم أتَلَوَّمِ

ابن هشام، ٣: ٤٥.

(١٠٣) حسين بن محمد الدياربكي (ت٨٩٢هـ)، *تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس*، (مصر: مؤسسة شعبان، ١٢٨٣هـ)، ١: ٤٦٠. والرواية لا نجدها في المصادر المبكرة المتيسرة.

(١٠٤) ابن حبيب، المنمق، ص ص ٢٦٨- ٢٦٩.

واتخذ بها منزلاً ومالاً.(١٠٥) ويمكن التوفيق بين الروايتين، لأن ابن بكار نفسه ذكر في رواية أخرى أن عتبة بن أبي وقاص كان في مكة قبل الهجرة بخمس سنين وخرج منها تاجرا إلى بلاد الشام، وصادف فيها يوم بعاث، فحارب مع الأوس.(١٠٦) فهذا يؤيد وجود حلف مسبق بين عتبة الزهري القرشي، وعتبة الأوسي، كما يفسر من جهة أخرى اختيار عتبة القرشي ليثرب موطنًا ثانياً له بعد هروبه من مكة . وكذا حلف أبي أسامة ـ وكان من رماة العرب المشهورين ـ وأخيه مالك ابني زهيرالجُشَمي(١٠٧) للسائب بن عائذ المخزومي، ثم لهبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ المخزومي ذلك الحلف الذي أثنى عليه رسول اللهص قائلاً: " الحليف مثل أبي أسامة كأنَّه رَقْل .(١٠٨) وقول الرسول ص يجسد ما اتصف به المخزوميان من الإخلاص والتضحية لحليفيهما الجشمي حيث ذبا عنه حتى استنقذاه من موت محقق في يوم بدر ٢هـ/٦٢٤م.(١٠٩)

وفي مقابل ذلك فقد وُجد من أهل يثرب من قدم إلى مكة، وطابت له بها الإقامة، والدخول في حلف وروابط أخرى وثيقة مع أفراد من أهلها؛ من هؤلاء سفيان

---

(١٠٥) المصعب الزبيري، ص٢٦٣؛ ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ٢: ٥٣٦.

(١٠٦) ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ٢: ٥٣٦.

(١٠٧) لم نعثر على ترجمة له في المصادر المتاحة. أما نسبته الجُشمي فهي إلى جشم بن الخزرج بن حارثة، عبدالكريم بن محمد السمعاني (٥٦٢هـ)، *الأنساب*، تحقيق: عبدالرحمن المعلمي، ط٢، (بيروت: الناشر محمد أمين دمج، ١٤٠٠هـ)، ٢: ٢٥٦؛ ابن الأثير، *اللباب في تهذيب الأنساب*، (بيروت: دار صادر، ١٤٠٠هـ)، ١: ٢٧٩. وانظر: ابن خياط، ٨٧، ٩٩.

(١٠٨) الواقدي، ١: ٩٥، ٢٤١، ٤٦٨؛ ابن هشام، ٣: ٢٢٧؛ ابن حبيب، *المنمق*، ص ٢٤٧. والرَّقْل النخلة الطويلة. ابن الأثير، *النهاية*، ٢: ٢٥٣.

(١٠٩) الواقدي، ١: ٩٥، ٢٤١، ٤٦٨؛ ابن هشام، ٣: ٢٢٧؛ ابن حبيب، *المنمق*، ص ٢٤٧.

من بني زُرَيْق بن عامر من الخزرج[١١٠] الذي نزل على معمر بن حبيب الجمحي في مكة ولزمه، ويبدو أن سفيان هذا كان صغير السن حينما نزل مكة؛ لأن المصادر تشير إلى أن معمراً تبناه، وزوّجه على مولاة له تدعى حسنة، [١١١] فأنجب منها ولدين هما جابر(خالد) وجُنادة، وقد ظل بمكة حتى دعوة النبي محمدص فاعتنقها هو وزوجته وولداه، وهاجروا جميعًا إلى الحبشة. وكانت وفاته وولداه في خلافة عمر بن الخطاب(٣١ ـ ٣٢هـ/٤٣٦ ـ ٤٤٦م).[١١٢] وبلغ من وثوق صلة سفيان بمعمر أنه نسب إليه، فلا يعرف إلا باسم سفيان بن معمر بن حبيب بن وهب الجمحي[١١٣] على الرغم من انتمائه القبلي للخزرج، [١١٤] ومن نعته في بعض المصادر بالأنصاري[١١٥] نسبة إلى أنه من الأنصار أي

(١١٠) ابن خياط، ٩٩-١٠٠؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٢٠٣.

(١١١) حسنة: أم الصحابي شُرَحْبيل (ت١٨هـ/ ٦٣٩م)، وهو ابن عبدالله بن المطاع بن عمرو الكندي، حليف بني زهرة. ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٤: ٩٤-٩٥. ٨: ٢٢٤؛ ابن عبدالبر، ٤: ٢٧٨؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ٧: ٦٥؛ ابن حجر، *الإصابة*، ٤: ٢٧٢.

(١١٢) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٤: ٩٤-٩٥؛ ابن عبدالبر، ١: ٢٢٢-٢٢٣، ٢: ٦٩. ١٣٩-١٤٠؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٣٠٣. ٣٥٥، ٢: ٤٠٨، ٧: ٦٥؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١: ٢١١، ٢: ٧٥، ١٤٣. وانظر: ابن هشام، ١: ٣٢٧، ٤: ٣٦٤. وقارن: ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ٢: ٨٩٠.

(١١٣) ابن هشام، ١: ٣٢٧. ٤: ٣٦٤؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٤: ٩٤-٩٥. ١٥٣؛ ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ٢: ٨٩؛ ابن عبدالبر، ١: ٢٢٢، ٢: ٦٩، ١٣٩-١٤٠؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٣٠٣، ٣٥٥، ٢: ٤٠٨؛ الفاسي، *العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين*، تحقيق محمد الفقي، ط٢ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ) ٤: ٥٩٢؛ ابن حجر، *الإصابة*، ٢: ٥٧، ١٤٣.

(١١٤) ابن عبدالبر، ١: ٢٢٢، ٢: ٦٩، ١٣٩- ١٤٠؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٣٠٣، ٣٥٥، ٢: ٤٠٨؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١: ٢١١، ٢: ٥٧، ١٤٣.

أهل المدينة . وكما هي العادة في الأحلاف فقد سرت رابطة هذا الحلف، وكذلك النسبة لبني جمح على ابنيه جابر وجنادة.(١١٦)

ويذكر ابن الأثير أن ممن نُسب إلى الأنصار أبو مرثد الغنوي وأبنائه وأحفاده نتيجة لما بينه وبينهم من حلف، (١١٧) وهم أصلاً من بني غني بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان، (١١٨) والمعروف أنهم كانوا حلفاء لحمزة بن عبدالمطلب الهاشمي، (١١٩) فهل جمعوا إلى جانب حلفهم لبني هاشم حلفاً آخراً مع الأنصار؟

أما الجوار الذي كان سائداً بين العرب قبل الإسلام فمن معانيه في اللغة الحِلْف، والجار: الحليف، وجاور بني فلان، أي تحرم بجوارهم، والجار والمجير هو الذي يمنعك، ويجيرك.(١٢٠) ويؤسفنا أن هذا التقليد الاجتماعي الذي أشرنا إلى أنه كان سائدًا بين العرب قبل الإسلام وكذلك بعده حتى عصور ليست ببعيدة لم نجد مما كان منه بين أهل مكة

---

(١١٥) ابن عبدالبر، ١:٢٢٢، ٢:٦٩، ١٣٩- ١٤٠؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١:٣٠٣، ٣٥٥، ٢:٤٠٨؛ ابن حجر، *الإصابة*، ٢:٥٧، ١٤٣.

(١١٦) ابن عبدالبر، ١:٢٢٢؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١:٣٠٣، ٣٥٥؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١:٢١١.

(١١٧) ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١:١٥٣، ١٥٩.

(١١٨) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣:٣٤؛ ابن خياط، ٤٧؛ ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ٢٤٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ٥:١٣٧.

(١١٩) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ٣:٣٤، ٣٥؛ ابن خياط، ٤٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة، ١:١٥٣، ١٥٩.

(١٢٠) ابن الأثير، النهاية، ١:٣١٣؛ ابن منظور، ١:٥٣٠- ٥٣١؛ أحمد بن علي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق: محمود شاكر، (القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١م)، ١:٣٨١.

وأهل يثرب سوى دليل واحد فقط هو ذلك الذي كان قائماً حتى قبيل الهجرة النبوية، بين كل من سعد بن عبادة، سيد الخزرج(ت١٥هـ)، وزعيمين من زعماء قريش هما: مطعم بن عدي من بني نوفل بن عبدمناف(ت قبل ٢هـ/قبل٦٢٣م)، والحارث بن حرب ابن أمية (من بني عبدشمس بن عبدمناف)، فقد كان سعد بن عبادة يجير لجبير والحارث وقومهما تجّارهم المترددين على الشام مرورا بيثرب، وكذلك كان يمنعهم من كل ممن أرادهم بظلم طوال إقامتهم ببلاده.(١٢١)

ومن المؤكد أن الحارث بن أمية وجبير بن مطعم كانا يقومان بالدور نفسه تجاه سعد بن عبادة حينما يحل بمكة، أو يمر بها إلى أية وجهة خارجها، يتضح ذلك مما ورد في خبر مقابلة سعد وقومه للنبيص، واعتناقه للإسلام، وتعرضه لأذى قريش بسبب ذلك. فلما وصل الخبر إلى الحارث وجبير هرع الاثنان معاً إلى نجدة سعد واستنقاذه من أيدي قومهما قريش بفضل ماكان بينه وبينهما من جوار وعهود.(١٢٢)

---

(١٢١) ابن هشام، ٢: ٤٤٩- ٤٥٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١: ١٧٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢: ٣٦٧- ٣٦٨؛ ابن كثير، ٣: ١٦٥. وانظر: المصعب الزبيري، ٢٠٠، البلاذري، ١: ٢٩٦، ومما يُلحظ أن رواية ابن إسحاق التي نقلها ابن هشام والطبري وابن كثير ذُكِر فيها أن عقد الجوار – إن جاز التعبير – كان بين سعد بن عبادة، وجبير بن مطعم (ت ٥٩هـ/ ٦٧٩م) فإن صحت هذه الرواية فهي تفيد بانتقال عقود الجوار التي يبرمها الآباء إلى أبنائهم بعد وفاتهم.

(١٢٢) ابن هشام، ٢: ٤٤٩- ٤٥٠؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١: ١٧٣؛ الطبري، تاريخ الرسل والملوك، ٢: ٣٦٧- ٣٦٨؛ ابن كثير، ٣: ١٦٥.

ولا نعتقد أن هذا الدليل اليتيم الذي حفظته لنا المصادر المتاحة، هو كل ماكان بين أهل مكة وأهل يثرب من عهود الجوار، (١٢٣) لا سيما وأن المصادر أشارت إلى عقد أحلاف فردية بين أهالي البلدتين بهدف المصالح الشخصية كنا قد أشرنا إليها للتو. ومع ذلك فلا بد أنه لكثرة الاتصال بين المدينتين العريقتين، أن بيوتات كثيرة من مكة وأخرى من يثرب كانت بينهم روابط جوار ومعاهدة، بدليل أن أهل مكة حملوا همًّا كبيراً حينما وجدوا أنفسهم في مواجهة مع أهل يثرب بسبب اتصال الأخيرين بالنبي ومعاهدته على الحماية والنصرة إن هاجر إلى ديارهم. وقد عبَّر القرشيون لأهل يثرب عن ذلك الهم الكبير بقولهم: " وإنه واللّه مامن حيٍّ من العرب أبغض إلينا، أن تنشب الحرب بيننا وبينهم، منكم. (١٢٤)

---

(١٢٣) إذا قدَّرنا أن المهاجرين إلى المدينة من أهل مكة أصبحوا من أهل المدينة لهم مالهم وعليهم ما عليهم، فإن إجارة أبان بن سعيد بن العاص، (من بني عبدشمس ت١٥هـ/ ٦٣٦م) بمكة لعثمان بن عفان (٢٤- ٦٤٤/٢٥ – ٦٥٦م) المهاجر إلى المدينة أثناء الحديبية ٦هـ/ ٦٢٨م يمكن أن تُعد استمراراً لما سبق ذكره من حديثنا عن الجوار بين أهل مكة وأهل يثرب. ومثل ذلك إجارة زينب بنت رسول الله لزوجها أبي العاص بن الربيع في سنة ٦هـ/ ٦٢٧م، وإجارة أم هانئ ابنة أبي طالب لرجلين من أحمائها من بني مخزوم في سنة ٨هـ/ ٦٣٠م، ٣: ٣١٥، ٤: ٤١٠، ٤١١؛ البلاذري، ٢: ٥٢- ٢٦، ٢٧؛ االطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٧٠- ٤٧١؛ الطبراني، ٢٤: ٤١٩، ٤٢؛ ابن عبدالبر، ١: ٧٤؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١: ١٣، ١٤.

(١٢٤) ابن هشام، ٢: ٤٤٨؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ١٧٣؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢: ١٠٠.

ثالثاً : الصداقات

لم تقتصر علاقة أهل مكة بأهل يثرب على المصاهرات والأحلاف، وتبادل المصالح والمنافع، بل تعدتها إلى بناء أواصر أكثر حميمية تتمثل في إقامة صداقات راسخة، ومودة ثابتة، ومحبة صادقة بين أفراد من هؤلاء وأولئك تطلق عليها المصادر ألفاظًا منها الصديق والخليل والمحب.(١٢٥) وهذه الألفاظ تبدو للوهلة الأولى وصفًا لمضمون واحد؛ لأننا بالرجوع إلى قواميس اللغة العربية لم نجد فرقاً كبيراً في المدلولات اللغوية لهذه الألفاظ؛ فالصداقة علاقة مودة ومحبة بين الأصدقاء، والصديق من يكون صادقًا في قول أو فعل أو محبة، قال تعالى: " واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صدِّيقًا نبيًّا "(١٢٦) والخليل: الصادق الخالص، والخُلَّة: الصداقة التي تخلَّلت القلب فصارت خلاله أي باطنه، وخلَّة الإنسان: أهل مودته، (١٢٧) قال تعالى: " واتخذ الله إبراهيم خليلاً ".(١٢٨) أما المحبة والحب والحبيب فلها نفس المعاني التي لسابقاتها من حيث دلالاتها على العلاقات الحميمة التي كانت سائدة بين نفر من قريش، وآخرين من أهل يثرب، وهي - وإن كانت أمثلة قليلة - فإنها تدلل على عمق التواصل والترابط الاجتماعي بين شخوصها، ونقدِّر أن هذه الأمثلة اليسيرة التي سجلها التاريخ، ماهي إلاجزء قليل من عدد أكبر من الأمثلة التي سكتت عنها المصادر، ولم تصل إلينا.

---

(١٢٥) ابن هشام، ١: ص٣٢٠؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٦٦؛ البلاذري، ١: ٧١.

(١٢٦) سورة مريم: الآية، ٤١، وفي الآية ٥٦ من السورة نفسها: "واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً".

(١٢٧) ابن منظور، ١: ٨٩٤- ٨٩٥.

(١٢٨) سورة النساء، الآية: ١٢٥.

ولعل مصادقة هاشم بن عبدمناف لاثنين من أهل يثرب تعد إحدى أقدم تلك المصادقات، ذلك أن هاشماً، كما هو معروف، كان يشتغل بالتجارة إلى الشام، وكان يتردد عليها مرورًا بيثرب، وخلال سفراته تلك كان ينزل بيثرب على زيد بن لبيد من بني النجار، فأقام صداقة حميمة معه قُدِّر لها أن تستمر طوال حياة زيد، فلما توفي انتقلت صداقة هاشم إلى ابن المتوفى عمرو بن زيد بن لبيد، [١٢٩] ثم مالبثت أن ازدادت وثوقًا ورسوخًا في عهد عمرو حينما أفضت إلى المصاهرة بزواج هاشم من سلمى بنت عمرو ذلك الزواج الذي عرضنا له في مكان سابق.

وفي هذا السياق يسجل التاريخ صداقة سعد بن عبادة(ت ١١ ـ ١٥هـ/٦٣٢ ـ ٦٣٦م) من الخزرج لاثنين من أهل مكة الأول مطعم بن عدي من بني نوفل (ت قبل ٢هـ/قبل٦٢٣م)، والثاني عمرو بن سالم الخزاعي الكعبي وقد وردت صداقتة للأول في سياق بيعة العقبة الثانية (٦٢٢م) التي بايع فيها الأوس والخزرج النبيص على النصرة والمؤازرة، فلما تسامعت قريش بخبر هذه البيعة بعيد قفول أهل يثرب في طريقهم إلى بلدهم، خرج المشركون في طلبهم، فظفروا بسعد بن عبادة المذكور، وسألوه إن كان هو على دين محمد، فأجابهم بنعم، فما كان منهم إلا أن أوثقوه بالحبال، وأخذوه أسيرًا، فلما علم صديقه مطعم بن عدي سعى إلى تخليصه، وفكاكه من الأسر.[١٣٠]

---

(١٢٩) البلاذري، ١: ٧١. وانظر: الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤٧.

(١٣٠) كان الأسر لسعد بن عبادة ضرار بن الخطاب الفهري القرشي، وقد خلَّد الأخير هذه الحادثة شعراً جاء فيه:

تداركتُ سعداً عنوةً فأسرتُه وكان شفاءً لو تداركتُ منذرا

ولو نلتُهُ ظلّت هناك جراحُه أحق دمـــاء أن تُطلّ وتهـــدرا

فلما سمع بذلك الشاعر حسان بن ثابت أجابه بقوله:

فخرتَ بسعد الخيرِ حين أسرتَه ونلتَ شفاءً لو داركت منـذرا =

وهكذا نلاحظ أن مطعمًا قد راعى حقوق الصداقة عندما تدخل لتخليص صديقه سعداً من الأسر على الرغم من اختلاف المعتقد فيما بينهم. أما صداقة سعد لعمرو الخزاعي فقد جاء ذكرها صريحة لدى الواقدي في فترة الحديبية ٦هـ/٨٢٦م عندما أهدى عمرو بن سالم وبسر بن سفيان الخزاعيان لرسول الله غنماً وجزورًا، وخص عمرو صديقه سعد بن عبادة بجُزُرٍ أخرى ويعلق الواقدي على ذلك قائلاً: " وكان صديقًا له " فأتى بها سعد إلى رسول الله فبارك ص هذه الهدية، وأمر بنحرها، وقسمها بين المسلمين، وفرق الغنم على الصحابة.(١٣١) ومثل هذا الموقف يتضح في صداقة سعد بن معاذ الأوسي(ت ٥هـ/٦٢٦م) لأمية بن خلف الجمحي(ت ٢هـ/٤٢٦م)، فقد ورد ذكر مابينهما من صداقة في صحيح البخاري في حديث رواه الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود الهذلي حليف بني زهرة (ت٢٣هـ/٢٥٦م)، ومفاده أن سعد بن معاذ كان صديقًا لأمية بن خلف، وكان الأخير ينزل على سعد إذا مرَّ بالمدينة في تجارته إلى الشام، وسعد ينزل على أمية إذا مرَّ بمكة، وقد استمرت هذه الصداقة حتى بعد هجرة النبيص بدليل ذهاب سعد إلى مكة معتمرًا قبيل غزوة بدر ٢هـ/٤٢٦م، فنزل على أمية بن خلف الجمحي، وطلب منه أن يتخير له وقتًا يطوف فيه بالبيت بأمان من المشركين، فاختار له

= إلى أن يقول:

فلا تَكُ كالشاة التي كان حتفُها بحفر ذراعيها فلم ترضَ محفرا

حسان بن ثابت، ١: ٢٢٤؛ البلاذري، ١: ٢٩٦. وانظر: ابن هشام، ٢: ٤٥٠- ٤٥١.

(١٣١) المغازي، ٢: ٥٩٢.

منتصف النهار، فطاف آمنًا لولا ماوقع من الملاسنة بينه وبين أبي جهل المخزومي كما ينص على ذلك الحديث الشريف.(١٣٢)

وهكذا يتضح أن الصداقة بين بعض أفراد من قريش وآخرين من يثرب استمرت حتى بعد اعتناق الأخيرين الإسلام، وهجرة النبيص إلى ديارهم مما يدل على عمق الصداقة بين أبناء البلدتين . ومن ناحية أخرى، هناك من الصداقات مما يمكن أن يدخل في هذه الجزئية صداقة أهل مكة بعضهم لبعض قبل الهجرة، ثم حينما هاجر بعضهم إلى المدينة، وبقي آخرون بمكة استمرت تلك الصداقات قائمة ومحافظاً عليها، ولكون المهاجرين إلى يثرب أصبحوا في عداد أهلها وفي حكمهم، فإننا نرى أن تلك الصداقات التي ظلت محافظاً عليها بين من هاجر ومن لم يهاجر يمكن أن تدخل في هذا الموضوع من العلاقات الاجتماعية بين أهل مكة وأهل يثرب، ومن الأمثلة على تلك الصداقات المحافظ عليها بعد الهجرة تلك التي كانت قائمة بين أمية بن خلف الجمحي وعبدالرحمن بن عوف الزهري(ت١٣هـ/١٥٦م)، والتي استمرت بعد هجرة الأخير إلى المدينة، فكان كل منهما يكاتب الآخر، ولكل منهما مصالحه في مكة والمدينة، فحفظ كل منهما مصالح الآخر.(١٣٣) بل لقد بلغ الأمر بعبدالرحمن أن فدى أمية بنفسه حينما نزل الأخير إلى

(١٣٢) البخاري، ٣٢٢- ٣٢٣؛ ابن حجر، *فتح الباري بشرح صحيح البخاري*، تحقيق: قي الخطيب وآخرون، ط١، (القاهرة: دار الريان، ١٤٠٧هـ)، ٧: ٣٢٩- ٣٣٢. وانظر: الواقدي، ١: ٣٥.

(١٣٣) ابن هشام، ٢: ٦٣١؛ البخاري، ١٧٩، ٣٢٤؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٥١- ٤٥٢؛ أبو الفرج الأصبهاني، ٤: ٢٨؛ ابن الأثير، *النهاية*، ٣: ٣٣؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢: ١٢٧؛ ابن كثير، ٣: ٢٨٦؛ ابن حجر، *فتح الباري*، ٤: ٥٦٠- ٥٦١؛ عبدالقادر بن أحمد بدران (ت١٣٤٦هـ)، *تهذيب تاريخ دمشق الكبير*، (بيروت: دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩م)، ٢: ٢٢٨.

المدينة في سنة ٢هـ/٤٢٦م، وأبصره المسلمون، وأرادوا قتله، فألقى عبدالرحمن نفسه عليه ليمنعه، فأصاب أحدهم رجل عبدالرحمن بسيفه.(١٣٤)

أما الأخلاَّء من قريش وأهل يثرب، فقد رُصد دليل واحد فقط فيما أمكن الاطلاع عليه من المصادر المتاحة حول حقيقة وجودهم، ومثال ذلك يستشف من قصة قدوم ثابت بن المنذر بن حرام (والد الشاعرحسان بن ثابت) من أهل يثرب، إلى مكة معتمرًا، ولقائه المطلب بن عبدمناف القرشي من أهل مكة، حيث يرد في ثنايا تلك القصة أن الرجلين كانا خليلين.(١٣٥) ولا بد أن هذه العلاقة الخليلية بين الرجلين هي سبب لقائهما، وحديثهما في شأن عائلي محض يخص المطلب بن عبدمناف، وابن أخيه شيبة(عبدالمطلب بن هاشم) الذي كان لا يزال حتى ذلك الوقت يتربى في أحضان أخواله بني النجار في يثرب(١٣٦) ـ كما قدمنا ـ.

أما الحب لبعضهم بعضاً فلم نجد له من الأدلة خيرًا من حب أبي قيس بن الأسلت(من بني وائل من الأوس) لقريش، فقد ذُكر أبو قيس على أنه كان يحب قريشًا، وكان يكثر الإقامة عندهم، ويعظم حرمة بيتهم،(١٣٧) وقد تزوج ـ كما قدمنا ـ من ابنة أسد ابن عبدالعزى بن قصي، فلما بلغه مبعث النبي ρ، ومعارضة قريش له، وما وقع عليه من الاختلاف بينهم نظم قصيدة طويلة ينهى فيها قريشًا عن الحرب، ويطلب منهم

---

(١٣٤) البخاري، ١٧٩، ٣٢٤؛ ابن كثير، ٣:٢٨٦- ٢٨٧؛ ابن حجر، *فتح الباري*، ٤:٥٦٠- ٥٦١.

(١٣٥) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١:٦٦.

(١٣٦) ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١:٦٦- ٦٧.

(١٣٧) ابن هشام: ج١ ص٢٨٣.

الكف عن بعضهم بعضًا، وعن أذى رسول الله ρ، ويذكر فضلهم، وأحلامهم، ويذكِّرهم دفع الله عنهم الفيل، وكيده.[١٣٨]

وكما كان لبعض الرجال أصدقاؤهم وأخلاؤهم وأحباؤهم في مكة، فقد كان لبعض النساء هواهم فيها أيضاً؛ من ذلك ماروي على لسان الفريعة بنت خالد الخزرجية(أم حسان بن ثابت) من أن لها في مكة ما يشغل قلبها على نحو ما تقول:[١٣٩]

للنَّاس بَيْت يُديمونَ الطّوافَ بِهِ ولي بمكَّةَ لو يَدْرونَ بيتانِ
فواحِد لجلالِ اللهِ أعْظِمُهُ وآخَرٌ لي بِهِ شُغْلٌ بانسانِ

وما دمنا نتحدث في هذه الجزئية عن الصداقات وما في حكمها بوصفها إحدى الأسس المتينة في العلاقات الاجتماعية بين مكة ويثرب، فلا بد من الإشارة إلى احتمال أن يكون بعضها قد أفضى إلى مصاهرات بين أناس من أهل مكة، ونظرائهم من أهل يثرب. مثلما أسلفنا في زواج هاشم بن عبدمناف من سلمى بنت عمرو بن زيد من بني غنم بن عدي بن النجار، حينما كان الأخير ينزل عليه، وهو في طريق تجارته إلى الشام بزمن يطول أو يقصر.[١٤٠] وكذلك زواج أبي بكر من حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير

---

(١٣٨) القصيدة طويلة كما أوردها ابن هشام (١: ٢٨٣- ٢٨٦) ونجتزئ منها:

يا راكباً إمَّا عَرَضَت فَبَلِّغــن مُغَلْغَلَةً عنّي لُؤَيَّ بنَ غالبِ
رسول امرئٍ قد راعه ذاتُ بَيْنِكــم على النَّأي مَحْزونٍ بذلك ناصبِ
أُعيذكُم باللّه مِمنْ صُنْعكم وشَرّ تَباغيكم ودسّ العَقارب
فايَّاكمُ والحربَ لا تَعْلَقَنَّكم وحَوْضاً وخيمِ الماءِ مُرَّ المَشــارب
فإن تَهْلكَوا نَهْلكَ وتَهْلَكْ مَواسم يُعاشُ بها، قوَلُ امرئٍ غيرِ كاذب

(١٣٩) علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ت٦١٠هـ)، *نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب*، تحقيق: نصرت عبدالرحمن، (عمانه: مكتبة الأقصى، ١٤٠٢هـ)، ١: ١٩٦.

(١٤٠) البلاذري، ١: ٧١؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤٧.

الحارثي الخزرجي، ذلك الزواج الذي من المحتمل أنه كان مسبوقاً بصداقة قديمة كانت تربط بين أبي بكر وخارجة، ويعزز هذا الاحتمال المبني على مايعتقد بوجود تلك الصداقة بين الرجلين أن أبا بكر الصديق τ حينما هاجر إلى يثرب لم يجد من ينزل عنده من أهلها أفضل من نزوله على صديقه خارجة، [١٤١] كما لا نستبعد أن الأساس الذي آخى فيه رسول الله ρ بين المهاجرين والأنصار كان مبنيًّا على علاقات نسب وصداقة سابقة بين المتآخيين؛ [١٤٢] فقد آخى رسول الله ρ بين أبي بكر الصديق τ، وبين صديقه ونسيبه خارجة الخزرجي[١٤٣] الذي أشرنا إليه للتو. وهناك نقطة أخرى ينبغي أن لا تغيب عن البال، ونحن ندرس العلاقات الاجتماعية بين مكة ويثرب هي أن بعض جماعة من أهل يثرب ممن بايعوا الرسول ρ فيما يعرف ببيعة العقبة الثانية ٦٢٢م تخلَّفوا عن العودة مع قومهم إلى بلدتهم، واستوطنوا مكة نذكر من هؤلاء ذكوان بن عبدقيس الخزرجي من بني زريق(ت٣هـ)، وعقبة بن وهب الغطفاني حليف الخزرج، والعباس بن عبادة الخزرجي(ت٣هـ)، وزياد بن لبيد بن ثعلبة الأوسي من بني عمرو بن عوف، [١٤٤] وربما غيرهم. ونحن لا نعرف أسباب هذا التخلف والاستيطان في مكة وإن كنا في الظروف العادية لا نستبعده في مختلف العصور وبحسبما تفرضه ظروف الهجرة والاستقرار في البلدان الأخرى، إلا أننا هنا وفي ظل موقف أهل مكة الجديد من مبايعة أهل يثرب للنبي ρ، وما خلَّفته تلك البيعة من غصة وحنق على الآخرين تجعل إقامتهم في مكة مستحيلة

---

(١٤١) ابن هشام، ٢: ٤٩٣. وانظر: ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص٣٦١.

(١٤٢) يمكن متابعة أسماء المؤاخى بينهم من المهاجرين والأنصار من خلال كتب السيرة وكتب تراجم الصحابة.

(١٤٣) ابن هشام، ٢: ٥٠٥.

(١٤٤) ابن هشام، ٢: ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٥؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ١٧٥، ٣: ٤١١، ٤٤٨، ٤٥٥؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ٢: ١٦٨؛ ابن كثير، ٣: ١٥٠، ١٦٧، ١٦٨.

مالم تكن في ظل حماية آخرين من أهل مكة ممن تربطهم بهم علاقة صداقة قديمة أو جوار وجيرة حسنة. وقد ظل أولئك النفر من أهل يثرب، وربما معهم رفاق آخرون، ظلوا آمنين على أنفسهم بمكة حتى فرضت الهجرة إلى المدينة فهاجروا إليها مع من هاجر من مكة، ولذلك سموا بمهاجرين أنصار. على الرغم من أن بقاءهم في مكة مدة ليست بطويلة على اعتبار أن فرض الهجرة ترتب على شروط بيعة العقبة الثانية.

ولم تقتصر صداقة أهل مكة وتواصلهم على نظرائهم من الأوس والخزرج بل لقد تعدتها إلى بعض يهود يثرب حيث تذكر بعض الروايات أن التاجر المكي عتبة بن ربيعة(من بني عبدشمس ت٢هـ/٦٢٤م) بعث ابنه الوليد ومعه جماعة من أهل بيته من بني عبدشمس إلى يهود بني النضير بيثرب ليستعير منهم كنز بني أبي الحقيق[١٤٥] وحليهم لتلبسه ابنته هند حينما تزوجها زعيم قريش المعروف أبو سفيان بن حرب.[١٤٦] وهذه العاريّة لهذا الكنز العظيم الذي أشاد الواقدي في وصفه، وغلاء ثمنه، وتنوع موجوداته من الذهب الخالص، لا يمكن أن يعار إلا لذي ثقة من خلاّص الأصدقاء. ونقدِّر أن هذه الصداقة، ومداومة التواصل بين بعض يهود يثرب، وزعماء قريش استمرتا إلى ما بعد هجرة النبي ρ إلى المدينة، حيث تذكر بعض المصادر أن كعب بن الأشرف زار مكة، ونزل ضيفاً على المطلب بن أبي وداعة السهمي، وكانت زوجته عاتكة بنت أبي العيص(من بني عبدشمس) تكرمه.[١٤٧] وبالمقابل زار زعيم قريش أبو سفيان بن حرب

---

(١٤٥) يروي الواقدي (٢: ٦٧١، ٦٧٣) أن كنز آل أبي الحقيق كان في مَسْك (جلد) الجمل، وجُلُّه أسورة، ودمالج، وخلاخل وقرط وخواتم كلها من الذهب الخالص، ونَظْم من جوهر وزمرد، وفتخ بجزع ظفار مجزَّع بالذهب.

(١٤٦) الواقدي، ٢ص ٦٧١؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ١٨٨.

(١٤٧) ابن هشام، ٣: ٥١؛ الواقدي، ١: ١٢١-١٢٢، ١٨٥؛ البلاذري، ١: ٣٣٧-٣٣٨؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٨٨.

سلاَّم بن مِشْكم (سيد بني النضير) ونزل عليه في بيته بالمدينة، وأفاض عليه الأخير من جوده وكرمه حتى أن أبا سفيان مدحه بقصيدة نجتزىء منها هذا البيت: [(١٤٨)]

سقاني فرَّواني كُمَيْتا مُدامة على عَجَلٍ مني سَلام بن مشْكم

رابعاً: ا نافرات

وهناك قضية اجتماعية أخرى برز فيها بوضوح اتصال أهل يثرب بأهل مكة، تلك هي تنافر بعض أهل يثرب إلى محكمين من قريش ليفصلوا بينهم فيما تنافروا من أجله. وقضية المنافرة في الجاهلية من القضايا التي شغلت الناس في زمانها، وهي في الأصل المفاخرة بين قرينين لا يقرّ أحدهما بأفضلية الآخر عليه فيتنافران إلى شخص ثالث يحكمونه فيما بينهم.

ولا تقتصر هذه المنافرة على المتنافرين وحدهما، بل وجد من عشيرتيهما الأدنين أو من قبيلتيهما من يتعصب لهما، ويغضب لغضبهما، وهؤلاء يسمون النَّافرة.[(١٤٩)]

وفيما يختص بالعلاقات الاجتماعية بين أهل مكة وأهل يثرب، وتنافر بعض أفراد من الأخيرين إلى محكمين من قريش يسجل لنا التاريخ في قصة إسلام أسعد بن زرارة من بني النجار من الخزرج(ت١هـ/٢٢٦م)، وذكوان بن عبدقيس من بني زُرَيْق من الخزرج أيضًا (ت٣هـ/٥٢٦م) أنهما خرجا إلى مكة ليتنافرا إلى عتبة بن ربيعة بن عبدشمس بن عبدمناف، فتحاشى الأخير أن يقضي بينهما لانشغاله وقومه عن كل شيء

(١٤٨) ابن هشام، ٣: ٤٤، ٤٥- ٤٦؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٢: ٢٣؛ البلاذري، ١: ٣٣٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٨٤؛ أبو الفرج الأصبهاني، ٦: ٩٧. والقصيدة كاملة رواها ابن إسحاق في السيرة النبوية. ابن هشام، ٣: ٤٥- ٤٦.

(١٤٩) ابن الأثير، *النهاية*، ٥: ٩٣؛ ابن منظور، ٣: ٦٨٧.

بسبب ذلك المُصَلِّي ـ على حد قوله ـ وهو يشير إلى النبيص، فذهب الاثنان إلى النبي في مصلاه بالقرب من الكعبة، ودعاهما إلى الإسلام، [١٥٠] وفي رواية لليعقوبي أنه قدم إلى مكة نفر من بني عفراء[١٥١] يتفاخرون مع أسعد بن زرارة، فلقيهم رسول الله، وقرأ عليهم القرأن ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا.[١٥٢] ولا يعني ماذُكر أن ذهاب أسعد بن زرارة وذكوان ابن عبدقيس إلى مكة، وقطعهما لتلك المسافة الطويلة بينها وبين يثرب بقصد المنافرة إلى عتبة بن ربيعة، أن مرّد ذلك يعود إلى إعتبارات شخصية تصب في إطار العلاقات الفردية التي تحدثنا عنها سابقًا، وإنما إلى مكانة قريش وشهرتهم بين العرب، ومَنَعتهم، وقدرتهم على فض المنازعات وإصدار الأحكام بين الخصوم بمن فيهم المتنافرون[١٥٣] والدليل على ذلك قصة منافرة مشهورة ذهب فيها المتنافران وهما: عامرـ عمروـ بن الطفيل بن مالك بن جعفر، وعلقمة بن علاثة (بن عوف بن الأحوص) إلى أبي جهل بن هشام، وأبى أن يحكم بينهما للأسباب نفسها، ولم يقبل الحكم في منافرتهما سوى هرم بن قطبة بن سيار الفزاري[١٥٤] الذي حلها بذكاء دون أن يغلِّب أحدهما على

(١٥٠) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ١٦٩، ٣: ٤٤٤- ٤٤٥، ٤٥٦؛ ابن عبدالبر، ١: ٨٤. ٤٨٣؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٨٦، ٢: ١٦٩، ابن حجر، *الإصابة*، ١: ٣٤، ٤٨٢.

(١٥١) لعلهم أبناء عفراء بنت عبيد بن ثلعبة بن عبد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار، زوجة الحارث بن رفاعة بن سواد بن مالك بن غنم بن مالك بن النجار، وهم معاذ ومعوذ وعوف من أصحاب السبق إلى الإسلام. حيث يلتقي نسبهم مع أسعد بن زرارة بن عدس والأخير شقيق عفراء. ابن هشام، ٢: ٤٢٩، ٤٥٧؛ ابن خياط، ٩٠؛ ابن حزم، جمهرة *أنساب العرب*، ٣٤٩. وانظر: الواقدي، ١: ٦٨.

(١٥٢) اليعقوبي، ٣: ٣٧.

(١٥٣) عن حكام قريش انظر: اليعقوبي، ٣: ٢٥٨؛ أبو الفرج الأصبهاني، ١٥: ٥١.

(١٥٤) اليعقوبي، ١: ٢٥٨؛ الزركلي، ٨: ٨٣.

الآخر خوفًا من أن يؤدي ذلك إلى فتنة.[١٥٥] ولا نستبعد، والحالة هذه، أن اعتذار عتبة بن ربيعة بانشغاله وعشيرته بظهور النبي عن عدم قبول النظر في منافرة أسعد بن زرارة، وذكوان بن عبد قيس، ماهو إلا من باب التملص من الحكم بين المتنافرين، لما قد يجر إليه من زيادة شقة الفتنة والخصومة بين الرجلين وبين عشيرتيهما، وكذلك التأثير على العلاقات والروابط الاجتماعية بين أهل مكة وأهل يثرب.

وفي إطار الاتصالات بين أهل يثرب وأهل مكة في مختلف الأغراض تروي المصادر العديد من الأخبار والقصص منها ذهاب عبدالمطلب وبنيه ومن تعاطف معه من قريش إلى عرافة من أهل يثرب يسمونها سجاح يستفتونهاويستأمرونها في تلمس مخرج لهم للعدول عن ذبح عبدالله بن عبدالمطلب عند الكعبة وفاءًا بنذر كان قد نذره أبوه إن رزقه الله بعشرة من الأبناء.[١٥٦] فلما علمت العرافة بقصتهم سألتهم عن مقدار الدية لديهم، فقالوا لها عشرٌ من الإبل، فقالت لهم عودوا إلى دياركم، وأخرجوا عشرًا من الإبل، واضربوا عليها وعلى عبدالله القداح فإن خرجت عليه زيدوا عدد الإبل حتى يرضى ربكم.[١٥٧]

وقريب الشبه بذهاب بعض أهل مكة إلى عرَّافة من أهل يثرب في موضوع ذبح عبدالله، أن قريشًا بعثت النضر بن الحارث(من بني عبدالدار ت٢هـ/٦٢٤م)، وعقبة بن أبي معيط(من بني عبدشمس ت٢هـ/٦٢٤م) إلى أحبار يهود يثرب يستعلمانهم عن

---

(١٥٥) أبو الفرج الأصبهاني، ١٥: ٥٠- ٥٤.

(١٥٦) ابن هشام، ١: ١٥٤؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤١-٢٤٢؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢: ٦-٧؛ ابن كثير، ٢: ٢٤٨- ٢٤٩.

(١٥٧) ابن هشام، ١: ١٥١-١٥٥؛ ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٧١-٧٢؛ البلاذري، ١: ٨٦-٨٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٢٤١-٢٤٢؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢: ٦-٧، ابن كثير، ٢: ٢٤٨-٢٤٩.

حقيقة نبوءة النبي محمد ρ بوصفهم أهل كتاب وعندهم التوراة، فقالت الأحبار لهم : إسألوه عن ثلاث فإن أجاب عليها فهو نبي، وإن لم يجبكم فهو متقّول، والقصة معروفة أيضًا، وهي التي كانت سببًا في نزول سورة الكهف.[(١٥٨)]

ويدل هذا الخبر أن علاقة أهل مكة واتصالاتهم بأهل يثرب لم تقتصر على الأوس والخزرج بل تعدتها إلى اليهود، وهؤلاء الأخيرون وإن كانوا ينظرون إلى أهل مكة على أنهم نجس وأهل شرك، إلا أن نظرتهم إلى البيت الحرام كانت نظرة احترام وتقديس لارتباطه بنبي الله إبراهيم عليه السلام.[(١٥٩)]

خامساً : التواصل الاجتماعي فترة ما بعد ا جرة

إن المتتبع للعلاقات الاجتماعية بين المدينة ومكة يلاحظ أن هجرة النبي إلى المدينة خلق وضعاً جديداً من التواصل الاجتماعي بخلاف الاعتقاد السائد بأن الأبواب بين المدينتين المذكورتين كانت بعد الهجرة موصدة، وأن حبل التواصل بين من هاجر ومن لم يهاجر كان مقطوعاً. والحقيقة خلاف ذلك، لأن الوضع الاجتماعي المترتب على انشطار الأسرة أو البيت الواحد أو حتى القرابة(قريبة كانت أم بعيدة) فرض على من هاجر ومن لم يهاجر قدراً من التواصل الاجتماعي، وذلك نتيجة لبعض العوامل الدينية

---

(١٥٨) ابن هشام، ١ : ٣٠٠-٣٠٢ ؛ ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١ : ١٣١ ؛ البلاذري : ١ : ١٦١ ؛ الطبري، جامع البيان، ١٥ : ١٢٧-١٢٨ ؛ ابن كثير، ٢ : ١١٣. ٣ : ٥٢-٥٣.

(١٥٩) عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، *المصنف*، تحقيق : حبيب الأعظمي، ط١، (بيروت : دار القلم، ١٣٩٠هـ)، ٥ : ١٥٣ ؛ ابن هشام، ١ : ٢٤ ؛ محمد بن عبدالله الأزرقي (ت٢٥٠هـ)، *أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار*، تحقيق : رشدي ملحس، ط٣، (بيروت : دار الثقافة، ١٣٩٩هـ) ١ : ١٣٣ ؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢ : ١٠٧ ؛ ابن كثير، ٢ : ١٦٤-١٦٥.

والاقتصادية إلى جانب العلاقات الاجتماعية، ومما له دلالته في هذا الخصوص أن عياش بن أبي ربيعة المخزومي خرج من المدينة إلى مكة بهدف رؤية أمه، وأخذ ماله[١٦٠] الذي يبدو أنه لم يستطع أخذه في مبتدأ هجرته إلى يثرب. وفي أثناء غزوة الحديبية عام ٦هـ/٨٢٦م دخل عشرة من المهاجرين على أهليهم بمكة، وهم كرز بن جابر الفهري، وعبدالله بن سهيل بن عمرو، وعياش بن أبي ربيعة، وهشام بن العاص السهمي، وحاطب بن أبي بلتعة، وأبو حاطب بن عمرو، وعبدالله بن حذافة، وأبو الروم بن عمير، وعمير بن وهب الجمحي، وعبدالله بن أبي أمية بن وهب (حليف سهيل في بني أسد بن عبدالعزى).[١٦١]

ولم يقتصر الخروج إلى مكة على من هاجر منها إلى المدينة وحسب بل لقد لوحظ أن من أهل المدينة نفسها من هزه الاشتياق إلى زيارة مكة، وأداء العمرة إلى بيتها العتيق، مستفيدين من التزام قريش بمبدأ عدم التعرض لأحد جاء إلى بلدهم حاجاً أو معتمراً إلا بخير.[١٦٢] فممن خرج من الأنصار بعد معركة بدر٢هـ/٤٢٦م بهدف العمرة سعد بن النعمان الأوسي(من بني عمرو بن عوف)، والمنذر بن عمرو الخزرجي(من بني ساعدة)، ولكنهما لم يأمنا على نفسيهما حيث طوردا من قبل أبي سفيان ورجاله فأمسكوا بالأول، ولاذ الثاني بالفرار.[١٦٣] وبالمقابل كان هناك من المشركين من أهل مكة من قدم المدينة في تلك الأثناء؛ من هؤلاء أبو جهل عمرو بن هشام، والحارث بن هشام

(١٦٠) ابن هشام، ٢: ٤٧٥؛ ابن حزم، *جوامع السيرة النبوية*، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٢م)، ٦٧؛ ابن سيد الناس، ١: ٢١٢؛ ابن كثير، ٣: ١٧٢.

(١٦١) الواقدي، *المغازي*، ٢: ٦٠٢، ٦٠٣.

(١٦٢) ابن هشام، ٢: ٦٥١؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٦٧؛ ابن كثير، ٣: ٣١١.

(١٦٣) ابن هشام، ٢: ٦٥٠- ٦٥١؛ الواقدي، ١: ١٣٩؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٦٦- ٤٦٧؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ٢: ٣٧٧- ٣٧٨؛ ابن كثير، ٣: ٣١١.

(من بني مخزوم) للقاء ابن عمهما وأخيهما لأمهما عياش بن أبي ربيعة.[١٦٤] وأخذ بعض رجالات مكة على عواتقهم تقديم المساعدة لمن رغب في الهجرة من النساء المسلمات المكيات حتى أوصلوهن إلى المدينة، ثم عادوا إلى مكة، من ذلك مافعله عثمان بن طلحة (من بني عبدالدار) مع أم سلمة المخزومية عندما خرج بها وبابنها حتى أوصلهما إلى المدينة، ثم عاد إلى مكة.[١٦٥] وخرج كنانة بن الربيع (بني عبدشمس) بزينب بنت رسول الله، وكانت زوجة أخيه أبي العاص حتى أوصلها إلى بطن يأجج، وسلمها إلى زيد بن حارثة ليحملها إلى المدينة.[١٦٦] وضيَّفت أم سلمة في منزلها بالمدينة سنة ٢هـ/٦٢٤م أبناء عمها خالد بن هشام بن المغيرة، وأمية بن أبي حذيفة بن المغيرة المخزوميين.[١٦٧]

كما استمرت المكاتبات قائمة بين من هاجر من مكة إلى المدينة، وبين أقاربهم وأصحابهم من أهل مكة سواء من أسلم منهم ولم يهاجر[١٦٨] أو من ظل على دينه من

---

(١٦٤) ابن هشام، ٢: ٤٧٥؛ ابن حزم، *جوامع السيرة النبوية*، (القاهرة: مكتبة التراث الإسلامي، ١٩٨٢م)، ٦٧؛ ابن سيد الناس، ١: ٢١٢؛ ابن كثير، ٣: ١٧٢.

(١٦٥) ابن هشام، ٢: ٤٦٩- ٤٧٠؛ البلاذري، ١: ٣٠٥؛ ابن كثير، ٣: ١٧٠.

(١٦٦) ابن هشام، ٢: ٦٥٤؛ البلاذري، ٢: ٢٤؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٢: ٤٦٩- ٤٧٠؛ ابن الأثير، *الكامل*، ٢: ١٣٤. قارن: اليعقوبي (٢: ٤١٢- ٤٢) حيث يذكر أن العباس بن عبدالمطلب هو الذي قدم بزينب إلى المدينة، وكانت بالطائف، ثم عاد إلى مكة. ويأجَج بين منى وسرف على خمسة أميال من مكة، وذكر البلادي (معالم مكة التاريخية والأثرية، ط٢، مكة المكرمة: دار مكة، ١٤٠٣هـ، ٣٢٥) أنه يعرف اليوم (ياج) وهو وادي طوله (٣٣كم) يمر شمال التنعيم.

(١٦٧) الواقدي: ١: ١١٨- ١١٩.

(١٦٨) أشارت المصادر إلى أن مكاتبات كانت قائمة بين بعض المسلمين في المدينة وأناس من أهل مكة أسلموا، ولم يتمكنوا من الهجرة. الأزرقي: ج٢ ص٢١٢؛ الطبري، جامع البيان، ٥: ١٤٨.

المشركين، فأبو بكر الصديق τ كان في أول الهجرة يكاتب ابنه عبدالله بمكة، وفي إحدى مكاتباته له أمره بحمل امرأته أم رومان، وابنتيه عائشة وأسماء.(١٦٩) ويقال إن العباس كان، وهو بمكة يكتب إلى النبي بأخبار المشركين.(١٧٠) ومن تلك المكاتبات ماكان الهدف منها حفظ الأملاك التي خلفها المهاجرون وراءهم في مكة. وفي أول الهجرة كان من هاجر من قريش وحلفائهم يودع أهله ودوره وماله أحد أقربائه أو معارفه أو أصحابه الذين لم يهاجروا، ومنهم من ظل على كفره، (١٧١) ويضرب الزبيري مثلا لمن حفظ الأمانة بهشام بن عمرو بن ربيعة (من بني حسل بن عامر بن لؤي)، (١٧٢) حتى إن الشاعر الأنصاري حسان بن ثابت مدحه شعرا لأجل ذلك.(١٧٣)

أما من غير القرشيين ممن كان قد هاجر إلى المدينة واستوطنها، فقد لوحظ مصانعة بعضهم لقرشيي مكة رغبة في حمايتهم لولده وأهله الذين خلّفهم وراءه حينما هاجر إلى يثرب، ودليلنا على ذلك مافعله حاطب بن أبي بلتعة اللخمي(حليف بني أسد بن عبدالعزى) حينما كاتب قريشاً يخبرهم بتأهّب النبي ρ في الخروج لفتح مكة في قصة مشهورة

---

(١٦٩) البلاذري، ١: ٣١٧.

(١٧٠) الواقدي، ١: ٢٠٣؛ البلاذري، ١: ٣١٧؛ ابن عبدالبر، ٣: ٩٥؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ٣: ١٦٥، ابن حجر، *الإصابة*، ٢: ٢٧١.

(١٧١) الزبيري، ٤٣١.؛ المقريزي، ١: ٣٧.

(١٧٢) الزبيري، ٤٣١.

(١٧٣) أَخْنَى بَنُو خَلَفٍ وأَخْـــنَى قُنْفُذٌ وأبو الرَّبيعِ وطِارِ ثَوْبُ هِشَامِ
مِنْ مَعْشَرٍ لا يَغْدُرُون بَجَارِهِم لِلحَارِثِ بن حُبَيِّبِ بن شَحَامِ

ووردت أيضاً سُحَام وسخام وشخام، وهو اسم أمه. الزبيري، ١٦، ٤٣١- ٤٣٢. وانظر: ابن هشام، ١: ٣٨١؛ السهيلي، ٢: ١٣٠.

حفظتها جل المصادر التاريخية.[١٧٤] ومنهم من أستأذن رسول الله ρ للذهاب إلى مكة لزيارة أهله، وجلب ماله، فأذن له، فذكر من هؤلاء الحجاج بن علاط السلمي البهزي (ت٣١هـ) الذي زار مكة عام ٧هـ/ وقابل زوجته أم شيبة بنت أبي طلحة (من بني عبدالدار)، وجمع ماله من تجار مكة، وأقام فيها مايزيد على ثلاثة أيام، ثم عاد إلى المدينة بماله.[١٧٥]

واحتفظ رسول الله ρ وأصحابه رضي الله عنهم بعدد من المواقف الإنسانية تجاه أهل مكة على الرغم مما تعرض له منهم من اضطهاد وتعذيب ومحاربة ماجاء به من الدعوة إلى الإسلام، فقد أمر بعدم قتل الحارث بن عامر(من بني نوفل ت٢هـ/٤٢٦م) يوم بدر رحمة منه ρ بأيتام بني نوفل، لأنه كان يقوم برعايتهم والإنفاق عليهم.[١٧٦] وكانت المراسلات قائمة بين الرسول ρ وبين زعيم مكة أبي سفيان لمناقشة الأزمات التي تتعرض لها مكة، ومحاولة إيجاد الوسائل الكفيلة بحلها، فلما قطع زعيم بني حنيفة، ثُمَامة بن أثال الحنفي، الميرة عن أهل مكة (بعد موقعة بدر سنة ٢هـ/٤٢٦م) والتي كانت

---

(١٧٤) ابن هشام، ٤: ٣٩٩؛ البخاري، ٢٤١، ٤١٩؛ أبو داود سليمان بن الأشعث (ت ٢٧٥هـ)، سنن أبي داود، تحقيق: صالح آل الشيخ، موسوعة الحديث الشريف، ط٣، (الرياض: دار السلام، ١٤٢١هـ)، ١٤١٩؛ البلاذري، ١: ٤٥٠؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٣: ٤٩؛ جامع البيان، ٢٨:٣٨- ٣٩؛ علي بن أحمد الواحدي (ت٤٦٨هـ)، أسباب النزول، تحقيق: عصام الحميدان، ط١، (الدمام: دار الإصلاح، ١٤١١هـ)، ٤٢١- ٤٢٣؛ ابن الأثير، النهاية، ١: ٢٥٢؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١: ٤٣٢؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١: ٣٠٠؛ فتح الباري، ٧: ٥٩٤.

(١٧٥) الواقدي، ٢: ٧٠٢- ٧٠٣؛ ابن هشام، ٣: ٣٤٥- ٣٤٦؛ اليعقوبي، ٢: ٥٧؛ الطبري، *تاريخ الرسل والملوك*، ٣: ١٧- ١٨؛ ابن حجر، *الإصابة*، ١: ٣١٣.

(١٧٦) البلاذري، ١: ١٧٤. وانظر: الواقدي، ١: ٨١.

تأتيهم من بلدته اليمامة، وما نتج عن هذا الإجراء من تأثّر الاقتصاد المكي، فغلت الأسعار، وانتشرت المجاعة في مكة، فقدم أبو سفيان إلى النبي ρ يناشده بالله، ثم بالرحم لحل تلك الأزمة. فكتب النبي ρ لثمامة يطلب منه إعادة تصدير الحنطة إلى مكة.(١٧٧) وكتبت قريش إلى الرسول ρ بعد سنة ٦هـ/٨٢٦م تسأله بأرحامها لكي يأوي أبي بصير عتبة بن أسيد بن جارية (حليف بني زهرة) وكان أسلم وهاجر، فأعاده ρ إلى قريش، بموجب شروط صلح الحديبية، لكنه هرب ونزل في منطقة العِيصَ على طريق عير قريش إلى الشام، واجتمع إليه سبعون رجلاً فضيّقوا على قريش، وكلما مرَّ عيرا لها اقتطعوها فبعثت قريش إلى رسول الله ρ كتابا لكي يقبل أبي بصير وأصحابه، فآواهم في المدينة.(١٧٨) كما أكرم رسول الله المحتاجين ممن قدموا إليه من مكة قبل فتحها سنة ٨هـ/٠٣٦م(وكانوا لا يزالون على شركهم) طالبين منه المساعدة، ومن هؤلاء سارة (مولاة عمرو بن أبي صيفي بن هاشم بن عبدمناف) فحث ρ بني عبدالمطلب على مساعدتها فكسوها وأعطوها وحملوها.(١٧٩) ليس ذلك فحسب بل كان ρ يبعث بمال إلى فقراء قريش، وهم مشركون، فقد بعث ρ بمال إلى أبي سفيان في مكة لأجل ذلك،

---

(١٧٧) ابن هشام، ٤ : ٦٣٩ ؛ الطبري، *جامع البيان*، ١٨ : ٣٤ ؛ ٣٥ ؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ١ : ٢٩٥ ؛ نظام الدين الحسن بن محمد القمي (ت بعد ٨٥٠هـ)، *تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان*، طبع بهامش جامع البيان للطبري، (القاهرة: دار الحديث، ١٤٠٧هـ)، ٢٦ : ١٨.

(١٧٨) ابن هشام، ٣ : ٣٢٤ ؛ الواقدي، ٢ : ٦٢٤- ٦٢٩.

(١٧٩) الواحدي، ٤٢١. وانظر: الزبيري، ٩٠- ٩١ ؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ٧ : ٣٣٦.

[١٨٠] ويذكر ابن حبان أن رسول الله بعث لقريش بشيء من الذهب في سنة ٥هـ/٧٢٦م بعد أن بلغه أن شدة أصابتهم.[١٨١]

ولم تكن العلاقات قائمة على تبادل المصالح وحسب، بل تعدتها إلى تبادل الهدايا التي عبَّرت أصدق تعبير عن استمرار العلاقات الودية بين بعض من أهل المدينة مهاجريهم وأنصارهم، وبين بعض فئات من أهل مكة، سواء كانوا من أقاربهم أو من معارفهم وأصحابهم فهذا رسول الله بعث إلى ثُوَيبة(مولاة أبي لهب ت٧هـ/٨٢٦م) بالصِّلَةِ والكسوة حتى علم بوفاتها.[١٨٢] وحكيم بن حزام (من بني أسد بن عبدالعزى ت٥٤هـ/٣٧٦م) أهدى لرسول الله حُلَّة فاخرة ولكنه رفض قبولها قائلا : " لا أقبل هدية مشرك.[١٨٣] وأرسل عمر بن الخطاب إلى أخيه من أمه عثمان بن حكيم (وكان مشركا بمكة) حُلَّة، وفي رواية جُبة من ديباج أعطاه إياها رسول الله ρ.[١٨٤] وأهدت قُتيلة بنت عبدالعزى (من بني مالك بن حسل) (وكانت مشركة أيضاً تقيم بمكة) إلى ابنتها أسماء

---

(١٨٠) ابن حجر، ٢: ٥٠٥. قارن: أبو داود، ١٥٨٠؛ ابن عبدالبر، ٢: ٥٣٠؛ ابن الأثير، *أسد الغابة*، ٤: ٨٧.

(١٨١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي (ت٣٥٤هـ)، *السيرة النبوية وأخبار الخلفاء*، ط٢، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١١هـ)، ٢٥١.

(١٨٢) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ١: ٨٨؛ البلاذري، ١: ١٠٥.

(١٨٣) ابن حنبل، ١٠٦٩؛ ابن سعد، *الطبقة الرابعة*، ٢٤٣؛ ابن بكار، *جمهرة نسب قريش*، ١: ٣٧٣، ٣٧٩؛ الحاكم، ٣: ٥٥٢.

(١٨٤) البخاري، ٧٠، ٧٤، ١٦٤، ٢٤٥- ٢٤٦، ٥٠٧، ٥١٣؛ ابن حجر، *فتح الباري*، ٥: ٢٧٦.

بنت أبي بكر سنة ٦هـ/٧٢٦م هدايا منها زبيب وسمن وإقط وقرظ.[185]

خاتمة

تضح مما سبق اتصال العلاقات الاجتماعية التي كانت تربط بين مكة ويثرب منذ فترة مبكرة تمتد من عهد هاشم بن عبدمناف، وتنتهي، كما أردنا لها في هذا البحث، بفتح مكة على الرغم من استمرار تلك العلاقات حتى عصر الناس هذا.

وقد تجلّت تلك العلاقات فيما ربط بين أهل تلك المدينتين من روابط المصاهرات التي قل أن يخلو منها بطن من بطون ساكني هاتين المدينتين بما في ذلك تزوج بعض رجال من أهل مكة بفتيات من يهود يثرب وخيبر. كما تجلّت تلك العلاقات فيما قام بين أهل مكة وأهل يثرب، جماعات وأفراداً، من روابط الحلف والجوار والصداقة الحميمة وتبادل الزيارات، وخلافها، يضاف إلى ذلك ما توصل إليه البحث من رصد التواصل الاجتماعي بين من هاجر إلى يثرب - المدينة - من أهل مكة ومن لم يهاجر، خلافاً للاعتقاد السائد من انقطاع اتصال المهاجرين ببلدهم الأم.

(١٨٥) ابن سعد، *الطبقات الكبرى*، ٨: ١٩٨؛ البخاري، ٢٠٦، ٢٥٨، ٥٠٦؛ الطبري، *جامع البيان*، ٢٨، ٤٣؛ الواحدي، ٤٢٤؛ ابن حجر، *فتح الباري*، ٥: ٢٧٦. والقَرَظ هو ورق السلَّم يدبغ به الأدم. ابن الأثير، *النهاية*، ٤: ٤٣؛ ابن منظور، ٣: ٦٣.

Makkah and Madinah social relations from Pre-Islamic period to the conquest of Makkah

Elbam Ahmad al-Babtain
Assictant Prof, Hostory Depat, Colleg of Art. KSU

Abstract. The historical significance of the two holy cities of Hijaz Makkah and Madinah is no a matter of dispute among historians.It becomes more significant when dealing with the pre-Islamic period until the conquest of Makkah. The latter period forms the frame of this paper which deals with the social relations between these two cities. The relations are reflected in the intermarriage of Makkan and Madinah citizens, including intermarriage with Jewish females of Khaybar and Yathrib (Madinah), together with other aspects of social relations including visits, intimate friendships, …etc. Other alliances were also known between clans from the two cities.
The paper deals with interrelations between Makkans residents and immigrants to Madinah.